الاحوال السياسية في الحلة
حزيران 1800-حزيران 1920

د.علي هادي عباس المهداوي

كلية التربية-جامعة بابل

المقدمة :

ركزت الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ العراق الحديث على وصف الأحوال العراقية بنوع من التعميم ، فضلا" عن تأكيدها على دور الولايات الثلاث بغداد والبصرة والموصل ، دون الالتفات إلى خصوصية المدن الأخرى التي ساهمت في رسم أحداث ذلك التاريخ . ومما لا شك فيه أن البحث في التواريخ المحلية مهمة شاقة ، ليس من اليسر الخوض فيها بسبب قلة أو ندرة الوثائق والمصادر وصعوبة العثور عليها . بيد أن هذه المبررات ليست بالعراقيل التي لا يمكن تجاوزها ، إذا ما توفرت الرغبة لدى الباحثين بإعادة كتابة تاريخ العراق في العصر الحديث . وبناء" على ما تقدم تم اختيار موضوع ((الأحوال السياسية في الحلة حزيران 1800- 1920 حزيران ، دراسة تاريخية)) ، بهدف كشف اللثام عن مدة زمنية مثيرة في إحداثها التاريخية ، الأمر الذي يسهم في إبراز دور الحلة في الإحداث السياسية التي شهدها العراق في تاريخه الحديث . تم اختيار عام 1800 منطلقا" لهذه الدراسة بسبب التغيير الإداري الذي أجرته السلطة العثمانية ، حينما عزلت (مراد جلبي) حاكم الحلة آنذاك ،وذلك في أواخر حزيران من العام ذاته نتيجة الضغوطات التي مارسها الحليون ضد تلك السلطات . في حين ارتأينا التوقف عند منتصف عام 1920 ، إذ اندلعت الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني ، فابتدأ فصل جديد من تاريخ العراق المعاصر .

2 ـ تمهيد :الوضع العام في الحلة خلال القرن الثامن عشر :

لم تكن الأحوال العامة في الحلة مطلع القرن الثامن عشر أفضل حالا" من المدة التي أعقبت الاحتلال العثماني للعراق منذ عام 1534، إذ أصابها وسادها ضعف الأمن وعدم الاستقرار ، حتى أصبحت محط أطماع بعض زعماء العشائر المتنفذين من المناطق المجاورة بهدف السيطرة عليها. فضلاً عن قيام بعض رجالات الحكومة في مركز ولاية بغداد بإعلان تمردهم وعصيانهم فيها باستغلالهم لعاملين هما قرب الحلة من بغداد ، وحالة الاستياء والتذمر التي انتابت الحليين جراء سوء تطبيق السياسة الإدارية من قبل موظفي الحكومة العثمانية في إدارة الحلة.تعرضت الحلة عام 1700 إلى حصار من قبل الشيخ سليمان الخزعلي حيث كان يبغي بسط نفوذه بالسيطرة على عموم منطقة الفرات الأوسط ، وقد أدرك والي بغداد الوزير مصطفى باشا خطورة ذلك على النفوذ العثماني في مثل هذه المنطقة الحيوية بمواردها الاقتصادية ، وما ينجم عنه من تناقص في كمية الواردات التي تغذي الخزينة المركزية في اسطنبول . لذا أمر قادة الجيش بالتحرك السريع وفك الحصار عن المدينة ، ومنع القوة العشائرية التي كانت بإمرة الشيخ سليمان من دخول الحلة وقام أولئك القادة حال وصولهم بأجراء مشاورات مع وجهاء المدينة ، تمخض عنها المباشرة الفورية بإقامة الاستحكامات الكفيلة بدرء خطر ، وفي مقدمتها صيانة سور الحلة وانتشار الحليين في مواضع دفاعية تمكنهم مع أفراد الجيش العثماني من صد المهاجمين . وإزاء هذه الاستعدادات القتالية اضطر الخزعلي إلى الانسحاب بعد عدة محاولات فاشلة لاختراق السور الذي يحيط بالمدينة ، وتوجه بقوته إلى النجف واستولى عليها ، فأذعن له بعض رؤساء العشائر بفرض ضرائب قسرية على المارة تسمى بـ (التسيار) كانت تعطى له كونه صاحب النفوذ [1].وكانت الحلة في عهد حكم المماليك للعراق مسرحاً لأحداث سياسية وعسكرية بسبب طموحات بعض القادة المناوئين للسلطة المركزية . ففي عام 1749 أستغل والي البصرة سليمان أبو ليلة تفاقم حالة التذمر لدى الحليين نتيجة سياسة الترهيب التي أنتهجها ولاة بغداد في جباية الضرائب ، وقام بحشد جيشه بالقرب من الحلة متخذا" منها قاعدة انطلاق لمهاجمة بغداد الأمر الذي أثار مخاوف الحكومة العثمانية في اسطنبول ، حيث قررت إرسال جيش كبير لملاقاة أبو ليلة والحيلولة دون تقدم جيشه إلى بغداد ، فحدثت معارك كبيرة أسفرت عن تمكن جيش الوالي سليمان من ((ربح المعركة في الحلة)) ، وقد شجعه ذلك على ملاحقة ومطاردة فلول الجيش العثماني المنكسر إلى [2] بغداد ، حيث ضرب طوقا" عسكريا" محكما" عليها ، ونجح باختراق الدفاعات الرئيسية ، وتوجه صوب الكاظمية ، حيث كتب إلى حكومة اسطنبول طالباً الاعتراف بضم ولاية بغداد إلى سلطته، ((وبهذا لم تر الدولة بداً من الإذعان قسراً)) وأصدرت فرماناً (أمرا") سلطانياً بتوليه السلطة في بغداد [3].

---

[1]- العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج5، (بغداد ، 1953) ، ص153.

[2]- العزاوي ، المصدر السابق ، ج6، (بغداد ، 1954) ، ص14-15 .

[3]- الحلي ، الشيخ يوسف كركوش : تاريخ الحلة ، ج1 (النجف ،1965) ، ص125.

واستغل أحد ضباط الجيش الانكشاري في بغداد المدعو (تراكي) فرصة تواجد سليمان باشا في ولاية البصرة أواخر عام 1750 وأعلن تمرده على الوالي ، فسار على رأس قوة عسكرية واستولى على الحلة ، غير أن الوالي سليمان أصدر أوامره إلى احد القادة بالتحرك إلى الحلة ومحاصرتها بقوة قوامها نحو (800) جندياً. وقد جرت عملية تطويق واقتحام المدينة دون سفك للدماء((لان انكشاريي بغداد انقلبوا مع والي بغداد ، ففرَ (تراكي) من الحلة وضبطها الباشا))[4]. ووصف صاحب كتاب (تاريخ الحلة) أحوال الحلة في عهد المماليك قائلاً: ((لم تر الحلة في عهدهم راحة الأ في فترات قليلة لا تعد شيئا" ، الثورات الأهلية في الحلة أو أريافها على قدم وساق تارة على الحكومة وأخرى على العشائر مثل عقيل وآل جشعم وخفاجة والخزاعل وغير ذلك.إن هذا مما اثر كبيرا" على الحلة وتوابعها في حركتها التجارية والزراعية والعمرانية وروحها الأدبية . كان أهل الحلة ينظرون الى حكامهم هؤلاء نظرة حقد وكراهية لأنهم يرونهم كلصوص لأهم لهم الأ أخذ الضرائب والاستيلاء على خيرات بلادهم دون أن يقوموا بخدمة عامة تعود على البلاد بالخير، فأصبحت الهوة كبيرة بين الحليين وحكامهم ،امتاز هذا العهد بالتفاف الحليين وتكوينهم جماعات اتحدت فيما بينها لمقاومة حكامهم الجائرين إذا عجزوا عن دفع ما أصابهم من ظلم بالطرق السلمية لجاؤا إلى العنف كأن يتسور واحد منهم دار أحد الحكام ليلاً ويضع بجانب فراشه آلة حادة إنذارا"ً، فأن لم يرتدع قتل في فراشه، وان اشتد عسف الحاكمين قاموا بثورة جامحة وطردوا الحامية من بلادهم . . هذا التضامن بين الحليين دعا الكولات أن يعينوا لبعض الأحيان حكاماً يكونوا قريبين من الأهالي تفادياً للأخطار))[5] .

3. الأحوال السياسية في الحلة مطلع القرن التاسع عشر:

كان على رأس الإدارة العثمانية في الحلة مطلع القرن التاسع عشر شخصية مـن أسـرة آل عبد الجليل البغدادية الأصل ، يدعى مراد جلبي ، الذي عرف بولائه المطلق للحكومة العثمانية من خلال ممارسته ضغوطاً شديدة على السكان وإجبارهم على دفع الضرائب إرضاء" لأسياده من كبار المسؤولين في بغداد واسطنبول . الأمر الذي أثار التذمر لدى أهالي الحلة . وقد إنتهز الحليون فرصة مرور معاون والي بغداد الكتخدا علي باشا في مدينتهم ، بعد انتهاء مهمة عسكرية قادها ضد عشيرة عنزه في مقاطعة الطهمازية غرب الحلة منتصف عام 1800، وتقدموا اليه بشكوى تضمنت إصرارهم على المطالبة بأقالة مراد جلبي من إدارة الحلة . ورغم محاولة الكتخدا إقناع الوجهاء بالعدول عن ذلك ، فأن بعضهم وجه تهديداً باللجؤ الى وسائل العنف لطرده وربما قتله . وإزاء الأصرار على الموقف هذا ، لم يجد علي باشا من وسيلة الأ الطلب من حكومة اسطنبول تعيين حاكم جديد درء" للمشاكل[6]. لقد إستجابت الحكومة العثمانية لمطلب أهالي الحلة وأصدرت امراً قضى بتعيين محمود أغا حاكماً على الحلة ليحل بدلاً عن مراد جلبي ، الذي تم نقله الى وظيفة أخرى ، بيد أن هذه الاستجابة لم تكن حقيقة دوافعها سوى إجراء مدروس بهدف امتصاص نقمة الحليين ، وعدم زج السلطة العثمانية في صراعات لا تخدم أهداف السياسة الأدارية في هكذا منطقة تحتل أهمية اقتصادية وتمتاز بثقل عشائري كبير . ويبدو أن مثل هذا التغيير الاداري قد جاء بأحد العناصر التركية المخلصة للحكومة ، اذ فاق سلفه في أساليب البطش والظلم والتعسف ، خاصة بعد أن أعلن الحليون تأييدهم لموقف عشيرة الخزاعل بالأمتناع عن تسديد الضرائب ، حتى لقب بـ (السفاك) لأنه لم يكن يتردد في سفك دم أي شخص لا يمتثل لأوامره. وقد وصف شاهد عيان في مخطوطة له الوضع ابَان مدة وجود محمود أغا في حكم الحلة قائلاً : ((إن حاكم المدينة المسمى محمود أغا السفاك بعد أن فتك بأهلها ، وهدم دورهم ، اسر عدد كبير من رجالها ونسائها وأرسلهم الى بغداد ليوزعوا بين البلدان، إلا انه قتل بعد ذلك قتلة شنيعة... حتى اتوا بأعيانها مقرنين بالأصفاد بلا راحلة ولا زاد ، كأنهم أسارى بين الأجناد ، ففعل بهم من لا يقر بالمعبود ، ولا يعترف باليوم الموعود... فهدمت الدور وهتكت الستور... فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.. حتى سلط الله عليه من قتله شر قتله)).

---

[4]- المصدر نفسه ، ج1، ص 124- 125.

[5]- التفاصيل انظر : الشاوي ، محمود بن سلطان : ذيل مطالع السعود ، دار المخطوطات ، بغداد ، مخطوطة برقم 29664 ، الورقة 224 ، العزاوي : المصدر السابق ، 6/ ص137.

[6]- مخطوطة آل السيد سليمان ، المجلد الثاني ، الورقة 133 ، نقلاً عن مجيد ، محمد حسن علي : ولاة الحلة وحكامها في القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 20 لسنة 1981 ، ص266 .

4- انتفاضة الحلة في عهد الوالي داود باشا عام 1824 :

شهدت الحلة في عهد داود باشا (1816- 1831) آخر ولاة المماليك في العراق موجة من الاضطرابات العشائرية بسبب سوء الإدارة وتعسف الحكام في جباية الضرائب الى درجة المبالغة في استخدام القوة ، حين عمدت السلطة آنذاك إلى تعيين سليمان أغا احد العناصر المعروفة بالشدة والبطش قائمقاماً على الحلة، وقد ابتدأ الحاكم الجديد باكورة أعماله بنصب مشنقة عند مدخل مقره الرسمي في مبنى القائمقامية ، بقصد إرهاب السكان وإثارة الذعر في نفوسهم، إذ ((كان يأمر جلاوزته ان يصلبوا كل من يسخط عليه من أهل الحلة))[7] ، كما لجأ الى سياسة الملاحقة والنفي والابعاد لجميع الذين يقومون بتحريض السكان ضد الحكومة العثمانية . ومنهم الشيخ موسى كاشف الغطاء الذي تم إبعاده مع بقية افراد إسرته إلى خارج الحلة ، خوفاً من التفاف الحليين حوله ، وقد أحدث إبعاد الشيخ كاشف الغطاء مع عدد أخر من الوجوه المؤثرة في المجتمع الحلي تذمراً كبيراً لدى الاهالي ، انعكست أثاره في مساندة الحليين للتمرد الذي قاده معاون الولي (الكتخدا محمد أغا) عام 1824[8]. كان محمد أغا من الناقمين على الوالي داود باشا لطموحه الشخصي بالوصول الى صدارة حكم ولاية بغداد ، حيث استثمر حالة الغليان التي انتابت الشارع الحلي جراء السياسة التعسفية التي انتهجها سليمان أغا وأعلن تمرده ضد داود باشا في مدينة الحلة ((واستولى عليها وادعى ولاية العراق ، فالتفت حوله بعض القبائل العراقية ، وقام أهل الحلة بمساعدته وقد دخلها باستدعائهم . فأرسل داود باشا رتلين الى الحلة ، فتصدى الثوار لهما وكسورهما . ثم أرسل جيشاً أخر ، فأستعمل الباشا سلاح الدعاية ، فانفض عن محمد أغا بعض القبائل مثل الجشعم وممن أبلى في جانب داود باشا العقيليون عند نشوب المعركة بين جيش داود باشا وجيش محمد أغا ، وعبر المنهزمون جسر الحلة ثم قطعوه ليوقفوا أعدائهم ،فعبر العقيليون النهر ودخلوا الحلة ، وهكذا تم الاستيلاء لجيش داود باشا على الحلة ، وقتل كل من كان موالياً لمحمد أغا وهدم دورهم ، وقد أبقى داود باشا عند إستيلائه على الحلة في هذه المرة حامية من العقيليين))[9]، وتعبيراً عن قساوة الاجراءت التي أمر بها داود باشا ، فقد أطلق الحليون على ذلك ((حملة حلة - خراب))[10]. وقد ذكر المؤرخ عباس العزاوي أن مساندة (قبيلة عقيل) للوالي داود باشا كان لها دوراً مهماً في إخماد تمرد محمد أغا ، فكتب قائلاً: ((عبر المنهزمون الجسر ثم قطعوه ليمنعوا اللحاق بهم، فعبر العقيليون النهر وعقبوهم فدخلوا الحلة ... وفرَ الكتخدا الى حمود بن ثامر ... ويقال ان الذي أرسل وراء محمد الكتخدا حمود الثامر فقدم لأثارة الفساد ، وأمر حمود أل قشعم وآل حميد وآل رفيع ليساعدوه، فأعانوه على دخول الحلة ، فلما انهزم انهزموا ...))[11].

وعلى الرغم من حالة الإحباط وخيبة الأمل التي أصابت الحليين جراء تمكن داود باشا من إستعادة السيطرة على الحلة ، الأ أنهم واصلوا انتفاضتهم ضد السلطة المحلية ونجحوا بطرد القائمقام سليمان أغا من مدينتهم ، وقاموا بتنصيب (صالح اغا) - وهو من الشخصيات الحلية المرموقة وقتذاك لإدارة شؤون المدينة . وذلك على اثر التصرفات غير المسؤولة لموظفي الإدارة العثمانية ، في التعامل مع الأهالي ، الأمر الذي قاد الى الصدامات المسلحة مع أفراد الحامية العسكرية وبضمنهم عناصر من العقيليين ، انتهت بمهاجمة ثكنة الجند وإحراقها ومن ثم اقتحامها بعد مقتل عدد كبير من الجنود المكلفين بحمايتها، وازاء هذه التطورات أدركت الحكومة العثمانية خطورة الموقف إذا ما امتدت الانتفاضة الى بقية مدن الفرات الأوسط ، لذا سارعت إلى إرسال المزيد من التعزيزات العسكرية في محاول لاستعادة السيطرة على الوضع المنفلت في الحلة ، بعد الخسائر البشرية الكبيرة التي تكبدها أفراد الجيش العثماني المنسوبين الى حامية الحلة .كما وجدت نفسها مضطرة للإبقاء على صالح إغا قائمقاماً لمدة قصيرة ريثما يهدأ الأهالي وتستقر الأمور . بيد إنها وبعد مضي بضعة أشهر قامت بعزله وعينت حاكماً جديداً من عناصرها كان يعرف بـ (ابن السياف) ، الذي فشل في ضبط الأمن بالمدينة ، حيث ظلت الأحوال العامة مضطربة لمدة تجاوزت السنتين[12].وقد فسَر المؤرخ سليمان فائق حالة التدهور التي عاشتها الحلة وبقية المدن التابعة لولاية بغداد في أواخر حكم الوالي داود باشا ، بعدم اهتمام ولاة الأمر بمصالح الناس اذ((انتشر الظلم والغدر، وأودع مصالح المواطنين إلى أيد غير أمينة ،

7- آل كاشف الغطاء ، محمد حسن : العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية مخطوطة في مكتبة آل كاشف الغطاء، (النجف) ، الورقة 133 .

8- البصير، محمد مهدي : نهضة العراق الأدبية (بغداد ، 1946) ص8 ، الحلي :المصدر السابق ، ج1، ص135.

9- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص136 .

10- اليعقوبي ، محمد علي : البابليات ، ج2 ، القسم الثاني ، (النجف ، 1955) ، ص2 .

11- العزاوي : المصدر السابق ، ج6، ص288- 289.

12- للتفاصيل النظر : آل كاشف الغطاء ، علي : الحصون المنيعة في طبقات الشيعة ، مخطوطة في مكتبة آل كاشف الغطاء (النجف) الورقة 400 . وآل كاشف الغطاء ، محمد حسن : المصدر السابق ، الورقتين 35 و 36 ، العاملي ، محسن الأمين ، أعيان الشيعة ج36 (بيروت ،1960) ، ص208.

فراحت تلك الأيادي تتعسف وتظلم الناس كيفما تشاء ، بلا خوف ولا وجل ، الأمر الذي باعد الثقة بين الشعب وبين الحكومة ، وكثر التمرد على الأمراء وعلى النظام ، ثم راح الناس يفكرون بالانفصال والاستقلال))[13].

5- إنتفاضة عام 1850 (واقعة الجريبية) :

أدى امتناع سكان الحلة وأريافها عن دفع الضرائب المتراكمة لعدة سنوات سبقت عام 1850 الى امتعاض والي بغداد علي رضا باشا ، حيث أمر باستدعاء القائمقام الحاج أفندي الكردي وتباحث معه في الكيفية التي يتم من خلالها استيفاء تلك الضرائب . وقد قطع الأخير وعداً للوالي بعدم إدخار أيَ وسيلة لتحقيق ذلك ، معللاً تلكؤ عملية الاستيفاء بحداثة تعيينه في الحلة ، ومن الجدير بالذكر ان الحاج أفندي كان أداة مخلصة ، اعتمدت عليه السلطة آنذاك بتولي إدارة المناطق الساخنة ، وعرف عنه بأنه((ظلوماً غشوماً ، قد استعان به داود باشا ـ من قبل على نهب أموال الناس ومصادرتها))[14]، وحال عودته الى الحلة أوعز الحاج أفندي إلى موظفيه بممارسة الضغوط واللجوء الى مختلف الوسائل لأجبار الممتنعين على دفع مستحقات الضرائب بإسناد من أفراد الحامية العسكرية .إلا أن هؤلاء قد أساءوا التعامل مع الأهالي حينما قاموا بتلك المهمة ، الأمر الذي أثار غضب الحليين وألهب مشاعرهم ، حيث قرروا التخلص من ذلك القائمقام والتخطيط لاغتياله فقامت مجموعة منهم بمهاجمة الحاج أفندي : ((ليلاً في قصره وألفوه نائماً مع ندمائه مخموراً من سكره، فقتلوه شر قتلة وأتوا به مسحوباً على وجهه مضمخاً بدمه ، فاستراح الخلق من ظلمه ...))، وقد عرفت هذه الواقعة بـ ((الجريبية)) وهي مصطلح محلي اعتاد الحليون عليه في تسميتهم للحكام او المسؤولين الذين يمارسون الظلم بأسم الحكومة[15].أثارت عملية اغتيال قائمقام الحلة ضجة كبيرة في اسطنبول ،فأصدرت الحكومة العثمانية أوامرها إلى والي بغداد محمد وجيه باشا بقيادة حملة عسكرية كبيرة للقضاء على الفتن والاضطرابات القائمة آنذاك في الحلة وبقية مدن الفرات الأوسط عموماً . بيد أن الأخير كان لا يحبذ اللجوء الى العنف والوسائل العسكرية في التعاطي مع المشاكل التي تحدث في المناطق العشائرية . مما أدخله في خلاف عميق مع المشير محمد نامق باشا ، قائد الفيلق السادس العثماني في بغداد الذي تلقى الأوامر بتحريك عدد من وحدات الفيلق بأتجاه الحلة، وبعد اتصالات أجراها المشير مع المسؤولين في الباب العالي ووزارة الحربية في اسطنبول ، تمكن من اقناع الجميع بأنه واثق من حسم الامور عسكرياً اذاما اسندت المهمة اليه كاملة . فوافقته الحكومة الرأي ، وتولى شخصياً الوحدات العسكرية المقاتلة التي نجحت في السيطرة على الموقف بعد ان قتلت وأسرت عدد غير قليل من ابناء العشائر التي تحشدت في مقاطعة الوردية . ثم أبرق الى مراجعه في اسطنبول واخبرهم باتمام المهمة . حينذاك ارتأت الحكومة العثمانية عزل محمد وجيه وتنسيب المشير نامق والياً على بغداد مع زعامة الفيلق[16].وقد دوَن المؤرخ محمود بن سلطان الشاوي في مخطوطته الموسومه بـ (ذيل مطالع السعود) تلك الاحداث قائلاً : ((أراد الوالي اتباع سياسة سلمية دون سوق الجند لدخول حرب مع هذه العشائر ، في حين كان نامق باشا يريد تأديبهم عسكرياً (شرفاً) للحكومة ، فاخبر الأستانة بذلك، فجاؤه الجواب بذلك بضربهم ، وصدر أمر من الاستانة بعزلهم وجيهي باشا ، وأصبح نامق باشا والياً وزعيماً ...))[17].كما إنتقد المؤرخ لونكريك سياسة العنف والقوة التي انتهجتها السلطة العثمانية في التعامل مع رعاياها فكتب قائلاً : ((الحل الحقيقي لمشكلة العشائر الأزلية الذي كان يجب ان يتبع في تفكيك القبائل هوان تهيأ لهم حياة اخرى غير حياتهم ... لا ان تنزل بهم ضربات موجعة بين حين وآخر ... ان سياسة تفكيك القبائل والقضاء عليها بصورة هادمة ، كان لابد من فشلها علىكل حال لأسباب خاصة وعامة ، لأن محاولة تنفيذها كانت جرت بأستخدام قوات اقل بكثير من القوات التي كان يستحقه هذا العمل الخطير ، ومن دون ان تضع لها خطه ثابتة او يكون لها تدبير منظم ... ودفع الفلاحون المتوطنون الى البادية من جديد ، وانزلت البلاد الى اسفل دركات الضعف والتعاسة في الوقت الذي ظهرت فيه انواع المواصلات الحديثة))[18] . ولكي يثبت المشير محمد نامق باشا ولائه واخلاصه لأصحاب القرار في العاصمة اسطنبول ، فأنه أقسم على مقاومة ((كل من يخرج عن طاعة الحكومة

---

[13]- فائق ، سليمان : تاريخ بغداد ، ترجمة موسى كاظم نورس ، (بغداد ، 1962)، ص164.
[14]- العزاوي : المصدر السابق ، 6/ ص331.

[15]- الحلي : المصدر السابق ،ج1 ، ص140 .
[16]- العزاوي : المصدر السابق ، ج7 (بغداد ، 1955) ، ص89 .
[17]- الشاوي : المصدر السابق ، الورقة 21 .

[18]- لونكريك ، ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، (بغداد ، د. ت) ، ص347-349 .

، ويقوم له السيف لا السياسة))وأقترح على الحكومة تعيين حاكم قاس" على الحلة ليتمكن من ضبط الأمن فيها ، فوقع الاختيار على شخص كان يهودي الأصل فأسلم ، يدعى (خلف أغا المسلماني)[19] . عاشت الحلة أبَان حكم خلف اغا أتعس فتراتها ، إذ ((إجتهد في تأديب اهالي الحلة وإطرافها ، ومسك الاشقياء ، كان جسوراً الاّ انه لا يقرأ ولا يكتب حتى اعلن بأن اهالي قصبة الحلة لا يسَكرون دورهم في الليل، وأهل البساتين لا ينطرون أثمار نخيلهم ، واذا وقعت سرقة في القصبة أو قطعت نخلة واحدة من البساتين فانا (خلف أغا) الضمين لها من خالص مالي أدفعها لهم وأن أبحث عن الفاعل وأنتقم منه))، ويبدو ان شدة الاجراءات التي أتخذها خلف أغا كانت مدعومة بالصلاحيات المطلقة التي منحها إياه المشير محمد نامق الى درجة أججت مشاعر الغضب في نفوس الحليين جميعاً ، مما حفزهم على تشكيل وفد لمقابلة المشير نفسه ((وجاءوا الى بغداد يشتكون حالهم من (الظلم) ومن جملتهم المرحوم محمد أغا بن شبيب البغدادي من الإشراف القديمة بالحلة ، وكان مقدماً على غيره بالحلة ،فلما مثلوا بين يدي الوالي أمرهم بالجلوس فجلسوا . فقال لهم : ماتريدون ؟ ومادهاكم ! قالوا : جئنا لتنقذنا من ظلم خلف أغا . فتبسم ضاحكاً وقال مخاطباً لمحمد الشبيب أغا :

أنسيت ! أو ماتتذكر لما جئتكم من قبل بالنفس الى الحلة ، وقلت لكم إننا في بغداد نجمع جنود من الاهالي الذين يرتكبون المعاصي ويشربون الخمر أو يسرقون فتمسكهم الحرس ونضعهم ونحررهم في مسلك العسكرية ونأدبهم ونربيهم وفق النظام . لو كان تجمعون من الحلة هكذا ناس لكان خيراً للحكومة ولكم فاجابني والدكم شبيب بالاشارة لان لايسمعوا اهل الحلة وأطرافها كلامك ، ويعصون ويثورون ، ولان تشكون من خلف اغا ، هذا دواء لكم !!)) فغادر الوفد بغداد منكسراً وقد خابت آماله[20].

6. تمرد أهالي الحلة على نظام التجنيد الاجباري عام 1857 :

حينما تولى السردار عمر باشا ولاية بغداد سعى جاداً في عام 1857 الى تطبيق نظام القرعة العسكرية (التجنيد الاجباري) ، حيث سبق للحكومة العثمانية وأن أصدرته عام 1848 ، ولكن عملية تنفيذه أصابها التلكؤ خاصة في العراق . غير أن شروع عمر باشا بتطبيق ذلك النظام قد أثر سلباً على النشاط الاقتصادي والبشري في عموم المدن العراقية ومنها مدينة الحلة[21]. إذ اضطرت اعداد كبيرة من الشباب الحلي الى ترك أعمالهم والانزواء في البيوت أو مغادرة محلاتهم ، رافضين الانصياع لاوامر الحكومة بالانخراط في الجيش العثماني ، ولما عرف الوالي بذلك توجه شخصياً على رأس قوة عسكرية كبيرة الى الحلة ، رافقه خلالها الكتخدا (المعاون) ومحمد أمين العمري (كاتب العربية) ، وصالح دانيال من وجهاء اليهود وتجارهم ، وبندر السعدون (شيخ المنتفك المعزول) . وعند وصوله إجتمع بالوجهاء ورؤساء العشائر ، وأبلغهم إصراره على تقديم (50) مجنداً أو دفع البدلات عنهم . ثم قام بجولة في الحلة ، فتقدم اليه عشرات الاشخاص بعرائض طالبته بالعدول عن رأيه ((لكنه أصرَعلى مايريد وأمر بالقبض على من جاء يصخب اليه ، فقبض على عدد كبير منهم ثم جند (50) فردامنهم ، وأطلق سراح الباقين)) [22]. وقبيل مغادرته الحلة أصدر عمر باشا أمراً الى القائمقام خلف أغا بتعقب الشباب الذين فرَوا من المدينة وأريافها وتجنيدهم بالاكراه ، فشكل الأخير قوة عسكرية وأخذ يجوب المزارع والبساتين بحثاً عن اولئك الشباب ، مما اثار سخط الحليين وكراهيتهم له حتى باتوا يخشونه لانه يترصدهم في كل مكان ، فاطلقوا عليه عبارة ((خلف أغا بالعثق)) لكثرة ماتردد عن تعقبه لهم والتجسس عليهم في الأرياف فكأنه يكمن لهم حتى في رووس النخيل . بل أنه كان لا يتردد بمعاقبة المتهمين عن قضايا مختلفة وشمولهم بالتجنيد الاجباري . وهكذا عاش الحليون فترة عصيبة إمتدت حتى آواخر عام 1858، حيث ارتأت السلطة العثمانية نقل خلف أغا الى مركز ولاية بغداد [23]. ويبدو أن قرار عمر باشا بابعاد خلف أغا عن ادارة الحلة ، كان بسبب الشكاوي الكثيرة التي قدمها الحليون ضد القائمقام نتيجة تماديه في التنفيذ الأعمى للسياسة العثمانية ، مما ألحق الضرر الكبير في الأهالي . كما أصدرت السلطة في الوقت ذاته أمراً بتعيين شبلي باشا الدرزى ـ أحد الأصدقاء المقربين من الوالي ـ بدلاً عنه . وكان من الشخصيات التي أثبتت كفاءة ومقدرة" في المجالين العسكري والأداري . إستهل شبلي باشا تقلده قائمقامية الحلة عام 1867 بتجنيد عناصر الأجهزة الحكومية المدنية والعسكرية لأحكام السيطرة على المدينة اولاً ، وملاحقة الهاربين من الخدمة العسكرية وترهيب العشائر الممتنعة عن دفع الضرائب ثانياً . ويبدو ان القائمقام الجديد قد نجح في تحقيق ذلك ، اذ

---

[19]- الشاوي : المصدر السابق ، ورقة 22 .

[20]- الشاوي : المصدر السابق : الورقتين 23 و24 .

[21]- هاشم ، جواد : مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ، (بغداد ،1965) ، ص9 ; فائق : تاريخ بغداد ، ص167.

[22]- الخياط ، جعفر : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، (بيروت ،1971)، ص335.

[23]- العزاوي : المصدر السابق ، ج7 ، ص93 ; الحلي : المصدر السابق ، ج1، ص143 .

صدرت اليه الأوامر بقيادة حملة عسكرية للقيام بعمل مماثل في قضاء الديوانية المجاور ، على اثر التمرد الذي قامت به قبيلة الخزاعل . فتمكن من القاء القبض على رئيسها الشيخ مطلق بعد ان بث العيون والجواسيس . كما لجأ الى الخديعة في أسر عدد من زعماء تلك القبيلة حينما دعاهم للاجتماع به ، وقطع لهم وعداً بعدم المساس بهم ، الأ انه تنكر لذلك الوعد ، وأمر بتسفيرهم جميعاً الى بغداد ، فتم نفيهم الى جهة مجهولة[24].

مما تقدم يتضح ان النجاحات التي حققها شبلي باشا في الحلة قد حفزت المسؤولين العثمانيين على تكليفه بمهمة خارج نطاق مسؤوليته الادارية ، الأمر الذي يؤكد بأن إختياره جرى طبقاً لمواصفات دقيقة كانت تنسجم مع التوجه العام للسياسة العثمانية . بيد ان التوتر عاد مرة اخرى بين الحليين والسلطة المحلية بسبب سرقة محتويات (الكنيس اليهودي) من قبل عناصر مجهولة ، حيث أصدر شبلي باشا أمراً بزج العشرات من أبناء الحلة في السجن على أساس الشبهة ، وذلك بعد أن فشلت الجندرمة بالقاء القبض على السارقين ،وأجبرهم على دفع مبالغ مالية تعويضاً عن ثمن الأشياء المسروقة كشرط لا بديل عنه لاطلاق سراحهم . فأعترى الأهالي شعوراً بالأستياء واتفقوا على ارسال وفد لمقابلة المسؤولين في بغداد للتنديد بهذه السياسة الجائرة والتعامل السيىء للقائمقام . مقترحين اقالته لأجل أن تهدأ النفوس ويعم الاستقرار في المدينة . فحصلوا على وعد من الوالي بأنه سيكتب إلى شبلي باشا بانتهاج سياسة جديدة . ولم تمضِ مدة طويلة حتى صدر امراً بنقله من الحلة[25].

7. مقتل توفيق بك متصرف الحلة عام 1869 :

رغم تفاؤل العراقيين بمنهج التحديث الذي جاء به مدحت باشا (1869- 1872) لأصلاح الأوضاع في العراق ، الاّ ان أحداث عنف جديدة حصلت في عهده ، خاصة في مدن الفرات الاوسط ، رافقها اللجوء الى استخدام القوة ضد السكان الذين رفضوا الانصياع لأوامر السلطة العثمانية في مسألتي الضرائب والتجنيد الاجباري . وبموجب التنظيمات الأدارية التي اصدرها مدحت باشا عام 1869 أصبحت مدن النجف ، كربلاء ، الديوانية ، الشامية ، والسماوة أقضية مرتبطة إدارياً بـ سنجق (متصرفية) الحلة حيث تم تعيين توفيق بك ـ ابن أخت مدحت باشا ـ متصرفاً على السنجق[26]. (2)وذكر المؤرخ سليمان فائق في كتابه الموسوم بـ (تاريخ المنتفق) ، ان تعيين توفيق بك متصرفاً على لواء الحلة ، جاء بناءً على طلب من أحد المتنفذين اليهود غير انه لم يبرر دوافع ذلك ، فكتب قائلاً :)) بتسويل من يهودي عينوا متصرف على لواء الحلة ، ولم يكد يصل هذا المتصرف الى محل مأموريته حتى باشر بنهب الاموال واكراه الرعية على اعطاء الرشوة بدعاوي مزورة ، واستعرت نيران العصيان بالحلة ... فارسلت الحكومة طابورا" من الجنود ، فهجموا (اهالي الحلة) عليهم وقتلوهم وجرحوهم كلهم الأ ما قلَ وندر ، وعليه جهز الوزير مدحت باشا قوة كبيرة ... ولم يتوفق في إخماد الفتنة ... ومهما حاول اطفائها يزداد لهيبها)) غير أن توفيق بك طلب من الوجهاء تهدئة الامور في المدينة بعد ان حذرهم من مغبة الاستمرار في الهجمات ضد موظفي الحكومة وجندها ، مشترطا" عليهم تسليم المطلوبين ممن هم في سن الخدمة العسكرية ، والأ ستواجه المدينة امورا" لا تحمد عقباها)) [27]، ويبدو أن الحليين قد إستجابوا لتحذير توفيق بك لأجل إبعاد الخطر المحدق بمدينتهم ، حيث قام نحو خمسين شابا" بتسليم أنفسهم الى السلطة المحلية معلنين استعدادهم للخدمة في صفوف الجيش العثماني ، بينما لجأت صحيفة الزوراء الى تزييف الحقيقة في محاولة لتجميل الصورة التي تمت بها عملية التجنيد القسرية فأوردت بان الحليين ((دخلوا بطريق الرضا والطوع مقدار أربعة وأربعين أنفار الى طابور الطليعة الكائن في موقع الحلة ومقدار أربعة أنفار الى (الآي السواري) ، وقد بلغ جميعا ثمانية وأربعين نفرا ، وكما ان اهالينا قد عرفوا قدر هذه المادة ، فكذلك أهالي الحلة قد فهموا شرف العسكرية ومزيتها بهذا دليل ، وهذه المادة من الامور اللايقة بالتشكر))[28] ، وبعد ان أتمَ السيطرة على الحلة ، قرر توفيق بك القيام بعمل مماثل في المناطق المجاورة التابعة للواء ، وسار على رأس جيش كبير قوامه اكثر من ثلاثة آلاف جندي ، قاصدا" العشائر القاطنة في (عفك) لأجبارها على دفع الضرائب المتراكمة عن سنوات سابقة ، بيد أن ابناء تلك العشائر رفضوا الاستجابة لطلب المتصرف ، وأوضحوا له ((أنهم تكرارا" ومرارا" قدموا شكايتهم لأُولي الأمر ، وبعثوا المبعوث الى المراجع العليا في بغداد ،حتى وصلت مضابطهم الأستانة ، طالبين في ذلك تضييق نهر الدغارة لوقاية مزارعهم من تعسف النهر

---

[24]- العطية ، وداي : تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ، (النجف ، 1954) ، ص49.
[25]- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص144 .
[26]- العطية : المصدر السابق ، ص51 .
[27]- فائق ، سليمان : تاريخ المنتفق ، (بغداد ،1961) ، ص 60-61 .
[28]- الزوراء : العدد 139 ، 9 صفر 1288 .

المذكور ، و الاّ لم يكن في استطاعتهم دفع شئ من الضرائب ... وقد صَمت الحكومة آذانها عن سماع هذه المطالب..)). غير ان توفيق بك لم يقتنع بتلك المبررات ، فاستدعى قوة عسكرية إضافية من حامية الحلة ، وأنذر زعماء العشائر باجتياح عفك اذا لم يبدو التعاون مع السلطة . ورغم المحاولات التي بذلها اولئك الزعماء لكي يثنوا المتصرف عن قراره ، لكنها باءت بالفشل ، بل ازداد الموقف سؤ" حينما تعرض (الشيخ طرفة) للضرب والأهانة من قبل توفيق بك شخصيا" ، الأمر الذي أثار غضب وامتعاض العشائر في عموم لواء الحلة [29]. (2)وازاء إصرار العشائر على موقفها ، أصدر مدحت باشا أوامره الى المتصرف توفيق بك بالقضاء على ((الأعراب الثائرة من الحلة وأطرافها ... والفساد والبغي عند عشائر الدغارة)) ، غير ان أبناء العشائرالعربية تصدت للقوات العثمانية ، وخاضت قتال عنيف في معارك عرفت محلياً بـ (واقعة الدغارة) ، أسفرت عن وقوع خسائر كبيرة في صفوف تلك القوات ، فضلاً عن مقتل قائد الحملة توفيق بك نفسه . فاستشاط مدحت باشا غضباً ، وأمر بـ ((سد نهر الدغارة سداً محكماً تأديباً للثائرين ، وبذلك السد تعطلت أراضي كثيرة عن الزراعة والحراثة)) . لكن السلطة العثمانية تراجعت عن قرارها هذا بعد مضي سنة تقريباً ((لان سد هذا النهر قد إستنزف الخزينة أكثر من الأهالي ، وأصاب الحكومة ضرر من جراء نقص الأموال)) [30] ، وقد أوضح المؤرخ سليمان فائق رأيه بخصوص تلك الاحداث قائلاً :((ان السبب الباعث لهذا عدم وقوف الأمراء على مزاج وطبيعة الأهالي وحرمانهم من نور السياسة ... وكانت هذه الوقائع درس وعبرة لمدحت باشا وزير بغداد ، استفاد منها كل الاستفادة))[31]، وتفادياً لوقوع المزيد من الاضطرابات في منطقة الفرات الاوسط بعد الأحداث الدامية التي شهدتها الدغارة ، قررت الحكومة العثمانية استدعاء الشيخ (فهد السعدون) وأسندت اليه متصرفية الحلة ليحل بدلا ً عن توفيق بك الذي أغتيل في تلك الأحداث ، وهذه بادرة غير مألوفة في سياقات الإدارة العثمانية القائمة على ثوابت معينة ، ومنها الأعتماد على العناصر التركية في إدارة المناطق الخاضعة لسيادة الدولة . ويبدو ممكنا" تفسير تلك الخطوة بأنها تكتيك سياسي استثنائي ، فالشيخ فهد من أسرة آل السعدون المعروفة بنفوذها ومكانتها بين عشائر العراق ، وان وجوده على رأس الإدارة في هذه المنطقة (الساخنة) ربما يؤمن عودة الاستقرار في الفرات الوسط[32]، ومما يجدر ذكره ان فهد السعدون لم يكن راغبا بهذه المهمة ، لولا طلب مدحت باشا منه تمشية أمور المتصرفية ريثما يتحقق الأمن وعودة الهدوء . وخلال مدة لم تتجاوز ستة أشهر تمكن الشيخ فهد بعد اتصالات أجراها مع زعماء العشائر في الفرات الأوسط من إعادة الاستقرار إلى المتصرفية دون حوادث تذكر[33]، حينذاك قررت الحكومة عزله وأصدرت أمراً بتعيين مظهر باشا متصرفا على لواء الحلة[34] .

8. استجابة عشائر الحلة لقانون تفويض الاراضي الزراعية:

تسلم مظهر باشا مهام عمله في متصرفية الحلة مطلع عام 1870، وكان من أبرز المتصرفين تحمساً لتنفيذ القوانين الخاصة بالطابو وتفويض الأراضي التي أصدرها الوالي مدحت باشا . وقد استدعى زعماء العشائر العربية في الحلة وتوابعها ، فأوضح لهم عزم الوالي على اتباع سياسة جديدة أساسها التحديث والتمدن خلافاً للسياسات السابقة التي اعتادها العراقيون من قبل[35]، والتي استهدفت ((قلب ابناء القبائل بالقوة من عصاة الى مواطنين مطيعين دون ان تمهد لهم الوسائل ليعيشوا كما تريد .. ومن دون أن تبذل أدنى جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم)) [36]. ارتأى مظهر باشا تشكيل لجنة محلية سميت بـ (قومسيون الاسكان) برئاسة محاسب المتصرفية إسماعيل حقي أفندي ، وعضوية (6) من مأموري اللواء ، و(8) ضباط بصفة مهندسين، و(4) مسَاحين للقيام بالمسوحات اللازمة في الأراضي الخالية . ((لغرض تفويضها وإعطائها في اسكان القبائل والعشائر))[37] .ولأجل الاطلاع على عمل لجنة قومسيون الاسكان ، قام مدحت باشا بزيارة الى الحلة ، التقى خلالها بالمتصرف والعاملين باللجنة ، بالإضافة إلى شيوخ العشائر ، وقد حث الجميع على

---

[29]- العطية : المصدر السابق ، ص 52 .
[30]- فائق : تاريخ المنتفق : ص62 .
[31]- المصدر نفسه ، ص63 .
[32]- العزاوي : المصدر السابق ، ج7، ص232 .
[33]- ا لحلي : المصدر السابق ، ج1، ص145 .
[34]- العزاوي : المصدر السابق ، ج7، ص221 .
[35]- عزيز ، محمد : النظام السياسي في العراق ، (بغداد ، 1954) ، ص41.

[36]- ايرلاند ، فيليب ويلارد : العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط (بيروت ، 1949) ، ص57.
[37]- الزوراء : العدد 272 ، جماد الآخرة 1289.

التعاون لانجاح عملية التحول نحو المدنيه . اما صحيفة الزوراء التي كانت تتابع باهتمام إجراءات تفويض الأراضي ، فأثنت على تلك الزيارة ، كما أوردت : ((... ونظراً للرغبات التي أظهرتها العشائر ولشدة الشوق والأمل الذي أبرزه بحوله تعالى ، عما قريب لايبقى في أطراف الحلة المملؤة بالعشائر غير المتوطنة شخص واحد في حالة بدوية ، بل كل منهم يسكن ويتوطن ، وان العشائر والاعراب الذين ماشملوا إلى الآن رائحة المدينة ، فأنهم يعمرون الدور ويشكلون القرى ، ويشتغلون في أمر زراعتهم وحراثتهم ... وان جهود المتصرف مظهر باشا مازال يبذل جهوده))[38]، وأشادت الزوراء أيضاً بدور المتصرف مظهر باشا في نجاح عملية التفويض ضمن الرقعــة الادارية للواء الحلة ، إذ سعى إلى((اجراء التشويقات للاهالي ، وفي دخولهم للمدنية وتركهم للبدوية فصار ذلك الأمر موجباً لمزيد شوقهم ورغبتهم للتمدن ..وعندما زار الوالي العالي الحلـة ، أبان له الاهالي ميلهم للسكن مع أفراد عشائرهم ، وتركهم للبدوية ، وان يشتغلوا بالزراعة والفلاحة ، واستدعوا تخصيص الأرض المناسبة لهم لأجل الزرع والفلاحة ، وتفويضها لهم بالمساحة بطريقة الطابو ... وان ذلك يعود بفضل الخليفة والوالي والمتصرف))[39] ، وحينما باشرت لجنة قومسيون الأسكان أعمالها ، فقد أحدث ذلك اصداء" طيبة لدى العشائر العربية في عموم متصرفية الحلة ، مما حدا بـ مظهر باشا الى ارسال برقيتين إلى الوالي مدحت باشا ، اخبره فيهما باستجابة تلك العشائر لخطة الحكومة في تفويض الأراضي الزراعية ، حيث جاء في البرقية الأولى : ((الى جناب مقام الولاية ... كما انه قد جرى البدء والمباشرة في تفويض أراضي الحلة والهندية ، وفي اسكان أهالي الدغارة وعفك والشامية والسماوة ، قد وقعوا بهذه الأفكار أيضاً . وبناء على مراجعتهم للحكومة في ضمن تفويض الأراضي بشرط الاسكان . فبعد أن يتم أمر احالة اراضي الحلة والهندية فأن النوبة تعود عليهم ، وحيث ان اجراء المساحة على الترتيب في أراضيهم واحالتهم لهم أمر مصَمم ، فزيد شوق الاهالي ورغبتهم قد عرفناه في معرض التشكر)). وورد في البرقية الثانية : ((... ان شوق الاهالي الغير متوطنة وميلها للاسكان قد بلغ الى الدرجة التي ماستعرضه من الضرائب . وذلك ان شخصاً يسمى (حمد) من معتبري عشائر الجبور أتى الى الحلة ومعه كافة عياله واولاده ، ونصب بيت الشعر الذي كان يأوى اليه الى الآن في الميدان الواقع على رأس جسر الحلة ، واستدعى اداة الأراضي له لأجل الاسكان ، وقال اذا لم تعطوني اراضي لاجل السكن ، فانا لارفع خيمتي من رأس الجسر قطعاً بناء على هذا تحرر للمأمورين بان يعطوه الاراضي الكافية للاسكان ، توفيقاً على القاعدة المتخذة واعيد الى محله ... فاما الشوق والرغبات الكلية الظاهرة من كافة العشاير والاعراب ، من رفيع ووضيع وصغير وكبير في خصوص الاسكان ، وترقى حجتهم الشاهدة بالعيان ، ماهي الأ محض التوفيقات والتسهيلات)).وقد علقت الزوراء على هاتين البرقتين : ((قبل هذا كنا قد ذكرنا عدول العشاير والاعراب الموجودة داخل متصرفية الحلة عن طريق البدوية الضال . وبينا رغبتهم وشوقهم للدخول في محجة المدينة الموصل للخير ... اما التلغرافتين اللتين وردتا بهذه الدفعة من متصرفية الحلة ... فقد ظهر من مفهوم حكمها ، إن كافة العشاير قد أقبلت على هذا الطريق ، وان شوقهم ورغبتهم للاسكان لازالت يوماً فيوماً في تزايد وترقي ، وكانت العشائر البدوية قد سابقت بعضها بعضاً ، وانها قد عزمت على الدخول للتمدن ساعة أقدم ...)) [40].كما تطرقت الصحيفة في عدد لاحق الى أن نجاح عميلة تفويض الاراضي في لواء الحلة ، كان لها انعكاسات ايجابية على مناطق عراقية اخرى كالعمارة مثلاً ، فذكرت : ((بناء على ان تفصيلات الشوق والرغبة الظاهرة من العربان والعشاير الكائنة داخل لواء الحلة ، وميلهم للدخول في دائرة المدينة المدنية الباهرة بالفلاح ، ودرجات التدابير معلومة لدى مطالعي نسخ الجريدة ... لكن القصد ... انما هو مسألة سراية الشوق والامل البادي من تلك العشاير المرموقه في خصوص الاسكان الذي لازال في التزايد آن فآن ، والذي ظهر اثر فعلياته في الميدان الــى العشائر الكائنة في لواء العمارة ... فان هؤلاء الاعراب ... قد وصل سمعهم ميل العشائر الغير متوطنة الكائنة في لواء الحلة ، وفهموا المعاملة المشفقة التي أبدتها الحكومة في حق أولئك الاعراب ، فقرروا أن يستفيدوا من مساعدة الحكومة ، وعلى هذا سارعوا بالاستدعاء من جانب الحكومة السنية بتفويض الاراضي اللازمة لهم))[41]، ويبدوا ان نجاح التجربة في لواء الحلة قد شجعت الوالي مدحت باشا لان يترأس قومسيون الاسكان في مركز الولاية ، بعد ان أشرك (25) مستشارا" ممن لهم معرفة واطلاع بشؤون واحوال العشائر العربية ، ((لاجل ان يكون ذلك مرجعاً

---

[38]- الزوراء : العددين276 ، 272 في 7 و 23 جماد الآخر 1289 .

[39]- الزوراء : العدد 176 ، 23 جماد الآخرة 1289 .

[40]- الزوراء : العدد 278 ، 1 رجب 1289 .

[41]- الزوراء : العدد 280 ، 8 رجب 1289 .

للقومسيونات التي تشكلت في سائر المواقع ... وأساس وظيفة هذا القومسيون إسكان العشائر والاعراب غير المتوطنة ، وانحصار مذكرات التدابير والتشبثات التي تتخذ في ذلك الطريق ، وان ينعقد في الأسبوع مرتين)) [42]، وصدرت إرادة من الوالي تقضي بايفاد بعض المستشارين الى لواء الحلة لمتابعة سير الاعمال الخاصة باسكان العشائر ، ومنهم يوز باشي استحكام حسن حسني ، ويوز باشي مأمور اسكان احمد حمدي ، ويوز باشي سعيد ، وكانت مهمة هؤلاء ارسال تقارير اسبوعية عن اعمال التفويض المنجزة الى مركز الولاية حيث كان يتم الاعلان عنها في صحيفة الزوراء .وبعد مضي شهر تقريباً قام مدحت باشا بزيارة اخرى الى الحلة ، وأبدى ارتياحه من النتائج المتحققة واصفاً متصرفها مظهر باشا بالرجل ((المخلص للدولة العلية)). غير ان انتهاء ولاية مدحت باشا في العراق أواخر عام 1872 ، قد اعقبها انتقال مظهر باشا الى متصرفية شهرزور وحلَ بدلا" عنه مراد أفندي متصرف (العمارة) الملغاة. ويبدو ان الكفاءة التي اثبتها مظهر باشا في ادارته للواء الحلة ، ونجاحه في احتواء العشائر باستجابتها لقانون تفويض الاراضي الزراعية ، قد دفعت السلطة العثمانية الى ذلك القرار، اذ ورد في صحيفة الزوراء : ((وجهت متصرفية شهرزور لصاحب السعادة مظهر باشا متصرف الحلة السابق ، نظراً لجسامة السليمانية)) [43] .

9. موقف الحليين من إنشاء المدارس الحديثة عام 1872 :

كان مراد إفندي إحد المسؤولين الاتراك القلائل الذين شجعوا التعلم والتعليم ، اذ سعى جاهدا" منذ توليه متصرفية الحلة مطلع عام 1872 لاستحصال الموافقة الرسمية على انشاء (مدرسة رشدية) في الحلة . وقد اجتمع بوجهاء المدينة وحثهم على جمع التبرعات اللازمة لأنشاء تلك المدرسة العصرية او الحديثة . فأبدى الأهالي شوقهم ورغبتهم الشديدة في خوض تجربة جديدة لتعليم ابنائهم الى جانب الحلقات العلمية الدينية في المساجد . وأثنت صحيفة الزوراء على هذه المبادرة ، وعدَتها خطوة حضارية لا تقل أهمية عن مسألة توطين العشائر ، فكتبت : ((... مما هو معلوم لدى العارفين بأحوال العراق ، ان نفس قصبة الحلة هي قصبة جسيمة تشتمل على ما يقرب من ثلاثة آلاف بيت ، وأولاد الأهالي مواظبين فيها على الدرس في المكاتب التي تشَبه بعدم الانتظام بمكاتب صبيان بغداد الغير منتظمة ، وما برحوا يضَيعون وقت التحصيل الغالي تحت اداة بعض الجهلاء . وبناء" على ان الحكومة السنية لا تجوز قطعا" بقاء أطفال هكذا قصبة جسيمة تحت ادارة بعض الجهلاء الذين اختاروا اسم المعلمين الذين لا يقتدرون على تحرير اسماء أنفسهم ، ولاترضى باضاعة تلك الاولاد عمرهم العزيز بالغدو والرواح الى المكتب الذي لم يتصور منه الفائدة ، وعلى الخصوص أقل قصبة داخل ولايتنا قد إنتضمت فيها المكاتب الرشدية ، مقدم تاسيس المكتب في الحلة ، قد أوجب عدم قبول ذلك لدى اصحاب الحمية من أهاليها . فمن أثر تشويق متصرف اللواء مراد أفندي ، قد فتح دفتر الأعانة ، وباشرت المأمورين المحلية والاهالي يسابقها بعضها بعضا الى اداء الاعانة (التبرعات) فأما مجموع الأعانات التي اعطيت من طرف أرباب الحمية الى الآن ، فحسبما سمعنا من الخبر الموثوق ، انها كافية لأنشاء المكتب المذكور ولتفريشه ولغيرها من اللوازم . ومع ذلك وفوقه فان أرباب الحمية لازالوا مداومين على اعطاء الأعانة. فاما المادة فانها اذا كانت حسبما أخذناه من الخبر ، وان الاعانة لازالت متوالية من دون انقطاع ، وانها تفصل عن لوازم مكتب الرشدية ، فنحن ننتظر من همة صاحب العزة (مراد أفندي) تاسيس مكتب للصبيان يوازي مكتب الرشدية ، وان تكون ادارته موافقة للقواعد والأصول المتخذة في حق المكاتب الصبيانية وان يكون معلميه من اصحاب المعلومات ومن الذوات المقتدرين على التدريس والتعليم . ومما نرومه ونأمله ، انه اذا فتح هكذا المكتب منتظم للصبيان في الحلة ، ان تجتمع أرباب الحمية في بغداد ، ويسعون في اصلاح مكاتب الصبيان ويفتحون قلوبهم لترتيب مكاتب مرتَب القواعد في التدريس والتعليم ،ويخلصون اولادنا في اضاعة وقت التحصيل ، وينشلوهم من ايدي الجهلة)) [44] . مما تقدم يتضح ان الاتجاهات التحديثية التي جاء بها مدحت باشا بدأت بالنضوج ، وعلى أساسها أخذت الأفكار الجديدة فرصتها بالنجاح في المجتمع العراقي ، وفي المقدمة الاهتمام بالتعليم ، اذ كانت الاستجابة كبيرة في المناطق والمدن التي كانت مهيئة لذلك كالحلة مثلا" ، حيث بلغت تبرعات الأهالي اكثر (7500) قرشا" ، تم جمعها من الوجهاء والذوات وآخرين غيرهم ممن رغبوا بتعليم أبنائهم في مدارس حديثة تدَّرس مناهج دراسية علمية وادبية ، يعني بتدريسها معلمون متخصصون ، واشادت الزوراء باصحاب المبادرة ، وقامت بنشر قائمة باسماء المتبرعين، ومنهم ((السيد علي ، السيد محسن ، السيد فرعون ، مصطفى أفندي ، فتحي أفندي ، ابراهيم بك ، محمد أمين ، شاكر النائب ، شريف أغا ،

---

[42]- الزوراء : العدد 281 ، 12 رجب 1289 .

[43]- للتفاصيل انظر : الزوراء : الاعداد 275 ، 295، 296 في 20 جماد الآخرة ، 1 رمضان ، 4 رمضان ، 1289.

[44]- الزوراء : العدد 298 ، 11 رمضان 1289 .

ابراهيم أمين ، شوقي أفندي ...))[45]، ومما يجدر ذكره ان المدرسة الرشدية لم تلق اهتماماً من قبل المتصرفين الذين اعقبوا مراد أفندي الأ ماندر ، حتى انها بقيت مهجورة لبضعة أعوام بعد نقله من متصرفية الحلة ، ويمكن تعليل ذلك بانصراف المسؤولين الاتراك الـى تنفيذ السياسات التي تقربهم من أصحاب القرار في اسطنبول ، حفاظاً على مناصبهم وامتيازاتهم ، متجاهلين واجباتهم تجاه الرعايا . بيد ان صحيفة الزوراء التي تلقت عدد من شكاوى الحليين بهذا الخصوص ، حثت اصحاب الشأن في ولاية بغداد على اعادة النظر باستئناف الدراسة وتعيين المعلمين ، حيث نشرت في أحد اعدادها : ((وأخيراً حصل التدبير بتعيين الشيخ علي أفندي من معلمي مكاتب الصبيان ، الذي جلب ممنوية العامة بجبهة تعليمه وتدريسه لمعلمية الخط الرقاعي والثلث، وبهذا التدبير تجمع بالمكتب المذكور ما هو متجاوز عن الاربعة والخمسين من اولاد المأمورين وسائر الناس، ومن هؤلاء اكثرهم أتموا دروسهم المخصوصة بالسنة الاولى ، وكسبوا الاستحقاق للنقل الى الصف الثاني، وبينما هم كذلك واذا بهم لم يجر امتحانهم الى الآن ، لبعض اسبابه وعوارضه المتوالية المانعة . وان للمكتب المذكور بعض نواقص موجودة ، بعد محـتاجه للاكمال ... وان متصرف اللواء محمد باشا ذات طالب ومحب لترقي العلوم والمعارف فلهذا لاشبه لنا ، بأنه سيعيد النظر بالنواقص...!!))[46]، وقد نتج عن تظافر جهود الحليين مع السلطة المحلية ، استئناف الدراسة في المدرسة الرشدية في عهد المتصرف عبد الغني باشا (1882- 1884)[47] الذي حرص على تفقد هذه المدرسة بين مدة وأخرى ، وقدم الدعم المعنوي للطلبة والمعلمين على السواء ، ـ وعلى سبيل المثال ـ انه أرسل ممثلاً عنه لتفقد سير الامتحانات عام 1883 وقدم الهدايا للتلاميذ ((... فسار أدهم باشا نيابة عن المتصرف وشَرف المكتب (المدرسة) ، مستصحباً الامراء والضباط الملكية والعسكرية ووجوه البلدة ، وبعد عزف الموسيقى بدأ الامتحان ... كما استصحب ثمانية من عدد الكتابة ، وعقب الامتحان وزع واحداً منها لـ (محمد رؤوف ، علي ابراهيم ، عبد الجبار أفندي) ، الأفندية الذين امتحنوا وأخذوا الشهادة . واعطى البعض منهم للأفندية الذين لم يصل بعد تعلمهم الحد المطلوب بقصد تشجيعهم ..ومن ثم قرأت الخطبتان بالعربية والتركية ... ثم عزف السلام العالي ...))[48]، ولكن سرعان ما دَب الاهمال في المدرسة بعد نقل عبد الغني باشا ، ولم تنتظم الدراسة فيها ، مما حفزَ محبوا العلم ومشجعيه إلى مطالبة السلطة في بغداد بالتدخل لمعالجة الأمر. فقامت (نظارة المعارف الجليلة) بارسال لجنة برئاسة محاسب النظارة (فهمي أفندي) لأجراء تحقيـق عن واقـع الشكاوي التي قدمت بشأن عدم انتظام الدراسة في رشدية الحلة ((وقد اكمل التحقيق فوجدها محقة فنظم بذلك لايحة)). وتم اتخاذ الاجراءات اللازمة من قبل النظارة ، فعينت عدد من المعلمين ، وانتظم دوام التلاميذ في المدرسة [49].وربما يمكن القول أن وجود المدرسة الرشدية أدى إلى اتساع فرص التعليم وتنوعه في الحلة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اذ تخرج منها عدد من الشخصيات الحليَة التي برعت في مجال الأدب وفروعه ، حيث تصدت في نتاجاتها الأدبية للواقع السياسي والاجتماعي السيء في ظل السيطرة العثمانية ، وبذلك فأن هذه الشخصيات شكلت محوراً أساسياً في اليقظة السياسية العراقية مطلع القرن العشرين .

10. الضرائب القسرية في عهد المتصرف شبلي باشا 1872 - 1875 :

عَمت الفوضى بعض المناطق التابعة لمتصرفية الحلة في أواخر عام 1872 بسبب المنازعات على الأراضي الزراعية ، وما نجم عنها من اغتيالات وثارات بين العشائر المختلفة[50]. (2) ويبدو ان فشل مراد أفندي في احتواء تلك الاضطرابات ، قد حفز الحكومة العثمانية على إحداث تغيير إداري جديد ، فأصدرت أمراً بنقله ، وأعادت ثانية تعيين شبلي باشا ، حيث كان يشغل منصب متصرفية الموصل آنذاك[51]. (3)

وذكر صاحب كتاب (تاريخ الديوانية) ، بأن وفداً من عشائر الجعارة توجه الى بغداد لمقابلة الوالي رديف باشا ((شاكين اليه من تعسف رئيس الخزاعل بهم ... دخلوا على الوالي ... كشفوا رؤوسهم وهتفوا بلسان واحد ... الداد ياوالي رقاب المسلمين ، أغثنا من جور الخزاعل ... ثم حكوا له قصتهم ... فلذا لم يجد الوالـي بداً من ارجاع شبلي باشا الى لواء الحلة ... فاستدعاه من الموصل وعينه على اللواء المذكور ، هذا والوفد خائف لم

---

[45]- الزوراء : العدد 317 ، 12 ذي القعدة 1289 .
[46]- الزوراء : العدد 598 ، 28 ذي الحجة 1292 .
[47]- الزوراء : العدد 1065 ، 28 محرم 1300.
[48]- الزوراء : العدد 1222 ، 26 شعبان 1302.
[49]- الزوراء : العدد 1434 ، 19 شوال 1307 .
[50]- العطية : المصدر السابق ، ص58.
[51]- الزوراء : العدد 322 ، 17 ذي الحجة 1289 .

يبارح بغداد . فقال لهم شبلي باشا : انصرفوا فنحن على الأثر ، ولم ندع في البلد حكومتين))[52] . والحقيقة فان سياسة شبلي باشا هذه المرة لم تكن تختلف عن سابقتها ، بل انه قدم الدليل تلو الآخـر على تفانيه في خدمة رؤسائه ، حتى وصفته صحيفة الزوراء انه من ((العبيد المخلصين للدولة العلية)). اذ استهل مجيئه للحلة بالضغط على موظفي اللواء ووجهاء وشيوخ العشائر للتبرع بالخيل دعماً للجيش العثماني ، فبلغ مجموع تلك التبرعات (50) حصاناً مبادرة منه ((لأعانة لالاي الأزدر السواري)) وهو تشكيل عسكري منسوب للفيلق السادس الهمايوني . وأثنت الصحيفة اعلاه على الجهود المبذولة من قبل المتصرف وعَدتها ((دليل على أنه وأولئك الذوات (الذين تبرعوا قسراً) قد عرفوا مزية الخدمة العسكرية وتيقنوا شرفها أكثر من غيرهم)) . كما نشرت قائمة باسماء المتبرعين وعلى رأسهم شبلي باشا - الذي تبرع بحصانين - وهم : صالح باشا ،عسكر أفندي ، علي جلبي ، جواد أغا ، محمد أغا ، نور الدين أغا ، عبد الحسين أغا، وهؤلاء جميعاً من (مأموري اللواء). اما الوجهاء والشيوخ الذين قدموا حصاناً واحدا": الميرزا جعفر أفندي ، محمد أفندي النائب ، سليم بك ، مناحيم سليمان ، مناحيم صالح ، خليل الجبوري ، مراد الجبوري ، سلطان المقدر ، عباس شمخي ، فنجان ، دبي الجبوري ، بليل الجبوري ، عباس الكديمي ، فدعم الجبوري ، مغير النصر ، راضي المحمد ... وآخرين غيرهم [53]، وفي مناسبة أخرى قرر شبلي باشا اهداء حصانه الخاص ((لأجل ركوب حضرة ولي النعم رديف باشا))[54] ، وهذه دلالة اخرى على تملقه لكبار المسؤولين حفاظاً على منصبه . ولكنه لم يكتف بذلك اذ استغل فرصة طلب الحكومة العثمانية من حكامها في الولايات جمع التبرعات النقدية والعينية دعماً للجيوش العثمانية في الأناضول ، وسعى كعادته الى اجبار عدد من موظفي اللواء وزعماء العشائر والوجهاء للتبرع بـ (22) حصانا وهم : بهجت بك ، أمين بك ، خليل الشاهين ، محمد الشيخر ، جبرأحمد ، علي بك ، الشيخ صلال ، الشيخ غازي ، الشيخ ثعبان ، الشيخ سعدون ، الشيخ مطلق ، الشيخ جلوب ، الشيخ عزوز الراضي ، الشيخ فاضل ، الشيخ علوان ، الشيخ ابو حميد آل حتروش ، الحاج عوض ، الشيخ حسن العلي ، الشيخ محمد علي ، فضلاً عن المتصرف نفسه[55]، وحينما إزدادت حاجة الخزينة المركزية للاموال بسبب النفقات العسكرية ، بذل شبلي باشـا قصارى جهده لأجل جمع المبالغ النقدية من متصرفية الحلة وإرسالها الى اسطنبول ، إذ قام شخصياً بقيادة وحدات عسكرية ، ومارس ضغوطاً شديدة على العشائر التي لم تسدد مستحقات الضرائب للمدة 1873 - 1874 ، فأجبرها على دفع مبالغ كبيرة ، رزمت في (1000) كيس ، - الكيس الواحد 500 قرشاً- وارتاى ايصال تلك المبالغ بنفسه ، فسلمها الى والي بغداد شخصياً ((الذي أغدقه بالتشكرات))[56] ، وقد امتدحت صحيفة الزوراء ما قـــام به شبلي باشا ، فكتبت : ((ان بعض رؤساء العشاير في اكثر الاحيان أغفلوا افراد القبايل بحيال اعدام الاموال الميرية ، التي أوعوها وادخلوها بأوعية ذممهم ... منشدين بالمحال الموصلة والاهوار الذين هم فيها . فاعطيت لهم التأديبات اللازمة بالقوة القاهـــرة العسكرية في هذه الحملة ... ان بعض مشايخ العربان ... جمحوا الى وادي الغي والعصيان كالازمات السابقة ، لعدم دفعهم البقايا المتراكمة ... وبناء على ذلك اصطحب شبلي باشا متصرف الحلة طابور من العساكر النظامية ... فذهب العساكر الملوكية ، لكن كون المكان الذي تحض به الرؤساء المرقومون هو يتربع (10) آلاف متر ، وهو عبارة عن مياه وأوحال وقصب محيط به من كل الجوانب ... صار مانعاً لأتيان العساكر السلطانية رأساً واحداً الى المحل الذي هم فيه ... (وتمكن المهاجمون) من القضاء عليهم ، وحصلت الأموال الميرية التي بذمتهم كاملة ... وأُخذت الأرزاق الجسيمة من أيديهم ، ووضعت بالمزايدة ... ثم عاد شبلي باشا مع القوة العسكرية ، وفيها كان شبلي باشا ، شجاعاً))[57] . لقد أثارت تصرفات شبلي باشا التي تجاوزت الحد المألوف بأستيلائه على كميات كبيرة جداً من الحبوب العائدة للمزارعين امتعاض أبناء العشائر ، فتقدموا بشكوى الى والي بغداد ، بيد أن شكواهم لم تلق آذان صاغية . وربما إستمر شبلي باشا بسياسته تلك لولا أن عاجلته المنية بصورة مفاجئة في مطلع آذار1875 ، حيث تم احالة شؤون المتصرفية وكالة إلى الفريق مخلص باشا[58]، وبذلك طوى الحليون صفحة اخرى من تسلط العثمانيين على مدينتهم .

---

[52]- العطية : المصدر السابق ، ص58-59 .
[53]- الزوراء : العدد 472 ، 10 رجب 1291.

[54]- الزوراء : العدد 492 ، 11 شوال 1291.
[55]- الزوراء : العدد 520 ، 12 رمضان 1292 .
[56]- الزوراء : العدد 574 ، 19 رمضان 1292 .

[57]- الزوراء : العدد 536 ، 3 ربيع الآخر 1292 .
[58]- الزوراء : العدد 579 ، 10 شوال 1292 .

11.مأساة الحلة جراء تغير مجرى الفرات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

شهدت الحلة وأريافها في ستينات القرن التاسع عشر كارثة حقيقية تمثلت بتغيير شط الحلة لمجراه الأصلي ، بسبب انحدار مياه الفرات نحو منطقة الهندية (طويريج) ، حيث القناة المعروفة وقتذاك بـ (قناة الهندية) التي تم حفرها اساساً لايصال الماء الى النجف الأشرف على نفقة إحدى أميرات الهند في بدايات ذلك القرن . الا ان هذه القناة أخذت بالأتساع عام 1867 بسبب رخاوة الاراضي التي تمر فيها ، فضلاً عن سرعة تيار الفرات هناك . مما أحدث تناقصا واضحا في مياه شط الحلة ،الامر الذي إنعكس بصورة سلبية على الأنشطة البشرية والاقتصادية والاجتماعية[59] . وقد وصلت هذه الحالة ذروة التفاقم في أواخر عام 1874 ، حينما أصاب شط الحلة الجفاف التام . فتعالت اصوات الأهالي مطالبة المسؤولين في ولاية بغداد بالتدخل وايجاد الحلول . والواقع لم يكن باستطاعة هؤلاء المسؤولين فعل شيء إزاء الافتقار الى الامكانات الفنية والمادية، فوقفوا عاجزين والتزموا الصمت ، الامر الذي حفز رؤساء العشائر والوجهاء على التقدم بشكواهم الى حكومة الباب العالي في اسطنبول ، مطالبين بانشاء سد لتنظيم عملية توزيع المياه الى فرعي الهندية والحلة . وتجرأ احدهم فكتب الى السلطان ملتمساً :)) ... أيد الله أمير المؤمنين ، وخلدَ دولته بالعز والتمكين ، وبعد : فأني أبث اليه الشكوى عن لسان كافة أهل وطني الحلة الفيحاء ، فأقول : من المعلوم لدى أهل البصيرة والبصر ، ماكان عليه كثير من أهل البلاد ، وأقلهم مالاً من كان يضيف كل ليلة من الضيوف ، مايعجز عن قرارهم أثرى الناس ، في بلاد أخرى ، مع انشراح صدر ، وسرور قلب ، وما جرى على أموالهم وعقارهم وحقولهم ونخيلهم ، ماجرى بسبب إختلال مجرى الفرات . اصبح أغناهم وأثراهم يتكفف ايدي الناس ، ويقتات بالحشف البالي من التمر . وترملت نساؤهم ، ويتمت أولادهم ، وتفرق رجالهم في نواحي الارض أيادي سبأ ... وكلما شكونا لانجد لشكوانا من سامع .ولاشك ان ولي الأمر هو المسؤول بين يدي الله عن احوال رعاياه. وبناء على ذلك تجاسرنا على بيان الحال ،حيث الحَت علينا السنون .راجين دفع ضرورتنا،واصلاح بلادنا وتلافي مافات منا،وما ذلك على ولي الأمر بعزيز.ونسأله تعالى أن يمد بالعون والتوفيق))[60] ، ويبدو أن الحكومة العثمانية قد إستجابت لتلك الشكاوي انطلاقاً من حسابات اقتصادية بحته ، تتعلق برفد الخزينة المركزية بالأموال ، ((لأن نهر الفرات اذا إنشق والعياذ بالله ، يمحي ويتلف حينئذ من الوطن ... ويقلل وارد لواء الحلة الجسيم والكثير المحصول)) كما ذكرت الزوراء[61].لذا جاءت موافقة الحكومة على ((انشاء السد اللازم لنهر الهندية حالاً دون أن يفوت وقته ، ليضمن منع المضرات التي يوقعها عند فيضانه حسبما بُين في الكتاب المرسول من مقام الولاية العالي ، على ان توفر الخدمات البدنية (الأيدي العاملة) ويجلب ويعطى مايقتضي من البردي من طرف أهالي الهندية والسماوة عموما ومجاناً . وان تؤدا من جانب الحكومة مأكولات الأهالي الذين يشتغلون وسيسعون في ذلك . وان تقطع الاخشاب المقتضية من طرف (الدليم) وتجلب السفن ، ويعطى من الاموال المحلية ألف كيس من النقود ، وان يدقق ويعتنى بمتانة السد ورصانته على الوجه اللايق ، فزبر وبين الى متصرفية الحلة ، وان يجري ايجاب الحال على ذلك الوجه ، وكذلك ايضا تثبت باسباب صورة مبايعة وجلب الأخشاب المقتض قطعها وجلبها من الدليم))[62] .

مما تقدم يتضح ان الحكومة العثمانية لم تسعى الى معالجة المشكلة بصورة جذرية ، إذ وجهت بالاعتماد على الامكانات العراقية التي تفتقر الى الخبرة اللازمة ، فضلاً عن بدائية المواد الداخلة في مستلزمات العمل . دون استدعاء أو إستشارة مهندسين أجانب مختصين في هندسة انشاء السدود . بل ان المسألة تعدت الى اجبار سكان الفرات الاوسط على التبرع بمستلزمات بناء السد ، ومنها مادة القصب (مجاناً!!!) . اما الاخشاب التي تقرر جلبها من مناطق أعالي الفرات بواسطة السفن ، فتم ادراج نفقاتها من المبالغ التي استحصلتها الحكومة قسراً من اولئك السكان . ويبدو ان السلطة العثمانية كانت تهدف الى تحقيق غايتين ، الاولى سياسية ، تمثلت باحتواء غضب ابناء العشائر ، لكي لاتسود الفوضى ، فتنفلت منها زمام الامور . والثانية اقتصادية مرتبطة بعودة المزارعين الى مزاولة اعمالهم ، مما يعود بالنفع للخزينة والمتمثل بواردات الضرائب ، واكد أحد المؤرخين ان المبالغ التي خصصت لبناء السد لم ينفق منها الأ الربع ، فيما اختلس المسؤولون الاتراك بقية تلك

---

[59]- سوسة ، أحمد : وادي الفرات ومشروع سد الهندية ، (بغداد ، 1945) ، ص 269- 298 .
الزوراء : العدد 204 ، 11 شوال 1290 .

[60]- الآلوسي ، محمود شكري :أخبار بغداد وماجاورها من البلاد ، مخطوطة برقم (6287) ، دار المخطوطات (بغداد) ، الورقتين 219 و 220 .

[61]- الزوراء : العدد 552 ، 1 رجب 1292 .

[62]- المصدر نفسه .

المبالغ ، دون التعرض للمسائلة . بيد ان الخسارة كانت اكبر لأن السد ((لم يعيش الأ اياماً معدودات ، فرجعوا الى جمع المال مرة اخرى ... وفعلوا فعلتهم الاولى فاسفرت عن تلك النتيجة ايضاً)) [63]، ولم تنجح المحاولات التي بذلت للحفاظ على السد ، حتى انهار تماماً عام 1885 ، وقد انتقدت صحيفة الزوراء الوضع السيء في الحلة وقتذاك ، ودعت الحكومة لاتخاذ موقف مسؤول حيث ((أصبح الناس تتحسر على الماء ، والالوف يهاجرون هنا وهناك))[64] بينما ذكر شاهد عيان : ((... لما انقطع الماء عن الحلة في فصل الصيف ، أخذ الاهالي يحفرون الآبار في مجرى الفرات ، لشربهم ، واما البساتين فلا ري لها أيام الحاجة الى الماء ، حتى آل الامر أن يبست النخيل والأشجار ، وأستولى الفقر ، وعمّت الحاجة غالبهم ، وفزع من سوء العاقبة عقلائهم ، وضج شعرائهم من هذا الحادث))[65] ، وازاء ذلك ارتفعت اصوات الاستغاثة مطالبة الباب العالي بنجدة الاهالي ، اذ ناشد السيد محمد علي القزويني ولاة الامر في بغداد واسطنبول للتدخل العاجل وانقاذ الحليين من الكارثة التي حلت بهم ، وحرر برقية ضمنها بيتاً من الشعر قال فيه[66]:

الى ان يعود الماء في النهر جاريا وتخضر جنباه تموت ضفادعه

كما كتب بعض الوجهاء شكوى مماثلة ، طالبوا فيها الحكومة بايجاد الحلول السريعة من اجل انقاذ حياة آلاف السكان ، بعد ان طال التدهور مفاصل الحياة الاقتصادية والأجتماعية في مدينتهم ((فبادر حينئذ بعض اهل الاملاك في نواحي الحلة الى الشكوى لاهل الحَل والعقد من ارباب الدولة ، وبيان ماعرى تلك البلاد من الضرر والخسائر ، وما كان من الاعراض عن سماع شكواهم وبين مايلحق ذلك من العواقب الوخيمة للدولة وللملة وهلاك الرعايا ...))[67]، ولم يكن امام الحكومة العثمانية إزاء هذه المطالبات الاّ استدعاء فريقاً من الفنيين الفرنسيين المختصين بانشاء السدود برئاسة المهندس شوندورفر . فقام اعضاء الفريق بزيارة موقعية للسد ، رافقهم خلالها الوالي (سري باشا) ومتصرفي الحلة وكربلاء ، وأعدَ دراسة شاملة لانشاء سد جديد بكلفة تخمينية قدرها ثمانين ألف ليرة عثمانية[68] . باشر الفريق الفرنسي أعماله بالسد ، فأعاد بنائه بالصخور التي نقلت من هيت ، والآجر الذي جلب من خرائب بابل . وقد جرت الاعمال تحت اشراف (يحيى نزهت أفندي) متصرف الحلة آنذاك ، الذي حرص على إطلاع سري باشا على مراحل إنجاز السد ، اذ ورد في احدى برقياته : ((... ان حفريات الخليج ستتم بظل دولتكم فتجد الختام عن قريب . وإن مفتي الحلة وأحمد أفندي من اعضاء الادارة ، ومحمد أغا بن شبيب ورفعت أفندي من الاعيان ، قصداً للاشتراك بهذه العمليات قد جاءوا صبيحة هذا اليوم الى موقع العمليات مع كمال (الدبدبة !!!) ، مستصحبين ثمنمائة نفر من العملة (عمال) فوزعوا أو قسموا على عَملة المحال ، وبعد أن أعطى وعُيَن لهم المقدار المطلوب حفره منهم جعلهم يشتغلون بالحفريات مع كمال السرعة والاهتمام ، والآجر الذي ينقل على الأبل من بابل فهم من ذرع ومقياس المهندس ، ان قد أجمع منه مايكفي ثلاثة آلاف وخمس مائة وعشرة متروات (أمتار) . هذا مما عدا الحمول التي صارت تأتي منذ ثلاثة أيام ، ونصف الاوتاد قد أوصل الى نصف النهر . ثم حصلت المباشرة بركزها من الساحل ايضاً . وقد بلغ ماركز منها من الساحل أيضاً ستة وأربعين ... وان ماأبداه المهندس الموما اليه من الهمة في هذا السبيل حري بالتقريض والثناء والممنونية ... واكمال الحفريات والعمليات ماهي الأ آثار موفقيتكم والامر لكم ..))[69]، ونشرت صحيفة الزوراء أيضا ترجمة للبرقية التي كتبها المهندس شوندورفر الى الوالي سري باشا بخصوص عمل فريقه ، جاء فيها : ((أعرض أن حدث ناقد بلغ اليوم خمسة آلاف وخمس مائة نفر ، وركز نصف الاوتاد ، والسفن والعسبيات التي تأتي من هيت لاجل الفرق قد بلغت خمسين سفينة ، اما الآجر الذي ينقل على الأبل من بابل ، فقد اجتمع منه مايكفي ثلاثة آلاف وخمس مائة مترو مكعب ، هذا وان عملياتنا بظل حضرتكم قد صارت تجري على الوجه المطلوب ...)) [70] ، وقد أشار الشيخ مصطفى الواعظ في مذكراته الى امتعاض الوالي سري باشا من عدم مشاركة الحليين في أعمال الحفريات عند بدء العمل بالسد ، اذ ((كان من واجب اهل الحلة أن يأتوا للسد شاكرين صنع الوالي وقد تراخوا في ذلك)) . ولكن وبعد مضي اسبوعين اجتمع وجهاء المدينة امثال محمد أغا الشبيب ، نور الدين أغا الحمزة وأخوه ابراهيم ، عبد الحسين أغا الشمعوني ، ابراهيم بك آل عبد الجليل واخوته علي بك وحبيب بك ، ونجيب بك ، عنيزان أغا ، جاعد أغا آل جواد

63- البستاني ، سليمان : عبرة وذكرى الدولة العثمانية ، (بيروت ، 1978) ، ص201 .
64- الزوراء : العدد 1447 ، 12 صفر 1308 .
65- الآلوسي : المصدر السابق ، الورقتين 168 و169 .
66- المصدر نفسه ، الورقتين 219 و220 .
67- المصدر نفسه ، الورقتين 240 و241 .
68- الزوراء : العدد 2120 ، 8 صفر 1325هـ .
69- الزوراء : العدد 1447 ، 12 صفر 1308 .
70- العدد نفسه .

الجعفر... وغيرهم ، يتقدمهم المغني ، وقد واجهوا الوالي ليشكروه ، فغضب الوالي منهم ... ولم يكلمهم ...)) . وأضاف : ((... عند اكمال السد إجتمعت العساكر الشاهانية والمدافع ، فعزفت الموسيقى ، والعشائر فرحين مستبشرين ... وبعد ان ضربت المدافع أمر الوالي (بافتتاح) مجرى الشط ... وفي اليوم التالي خرج أهل الحلة بأسلحتهم وطبولهم لأستقبال الوالي ... وقد زينت مدينة الحلة ، وافتخر شعرائها .وقد مدح الوالي أحد الشعراء الشيخ عباس العذاري ، فانعم عليه الوالي بساعته الذهبية مع زنجيلها الذهبي)) كما القيت عدد من الخطب بهذه المناسبة [71]. وبعد ان تم انجاز السد ، أوصى المهندس شوندوفر بضرورة إجراء الصيانة السنوية تحسباً للتخسفات التي تحدث بفعل ضغط الصخور والمواد الاخرى غير أن المسؤولين الاتراك أهملوا تلك التوصية ، فبعد سنوات قليلة ((غار ماكان من الصخر والاحجار في الصدر تحت الارض ، وتحول الماء الى نهر الهندية كما كان ، وانقطع جري حال الفرات عن الحلة والقرى الى اسفلها . وعاد على سكنة تلك البلاد ماكانوا عليه من البلاء والفقر والشكوى من العطش وخراب البلاد ، وكادوا يشربون في الآبار ، ويبست نخيلهم وأشجارهم وزرعهم ، وصادفهم برد في سنتين لم يرد مثله في غابر الأزمان ، هلك منه الزرع والضرع ، وبدأ لهم في الله مالم يكونوا يحتسبون ، وشرع أولياء الامر يعللونهم بالأماني الكاذبة ...))[72] ، وتعرض السد للانهيار مرة أخرى في عام 1910 بسبب الأهمال ، فتجددت دعوات الاستغاثة بالحكومة ، اذ طلب الحليون من ناظم باشا والي بغداد آنذاك بوضع حد للمأساة التي ولدَها جفاف شط الحلة ، حيث بات ((لايجري الأ شهر أو شهرين في السنة كلها ..... لايشرب الناس خلالها الا ما من ماء الآبار)). كما ارسل السيد محمد علي القزويني برقية ضمَنها شعراً مخاطبا الوالي بقوله[73] :

قل لوالي الأمر قد مات الفرات ومضت عن أهاليه شتات
أفترضى ان يموتوا عطشــاً وبكفيك جرى ماء الحياة

ووجهت صحيفة الرقيب انتقاداً لاذعا إلى الحكومة ، وحَملتها مسؤولية ماحدث للسكان من هجرة وتشرد ، جاء فيه : ((لعل أمر بقاء الحلة جافة قاحلة قد راق في أعين الحكومة ...))[74] ، والواقع ان السلطة العثمانية أدركت تماماً النتائج السلبية التي تترتب على خراب السد ، وفي المقدمة تناقص واردات الضرائب بصورة ملفتة للنظر ، فبعد ان بلغ مجموع ماتم جبايته من ضرائب عن المحصول الشتوي لعام 1908 في بعض المقاطعات الزراعية في الحلة نحو (609641) قرشاً ، تناقص في عام 1909 الى (417227) قرشاً ، أي بفارق قدره (192419) قرشاً[75] ، فضلاً عن تناقص واردات الضرائب الزراعية في قضاء الهندية الى العشر بعد ان كانت تزيد على (60) ألف ليرة سنوياً[76] . إستدعت الحكومة العثمانية الخبير الانكليزي في شؤون الري السير وليم كوكس ، والذي صرح بانه قد أخذ مشروع سدة الهندية على عاتقه بايعاز من السفير البريطاني في اسطنبول ، فأعدَ دراسة مفصلة عن طوبغرافية المنطقة مقرونة بالخرائط ، واقترح انشاء سد جديد بمواصفات فنية متطورة [77]، وافقت الحكومة العثمانية على مقترح وليم كوكس ، وعينَت عدد من الموظفين لمتابعة سير الاعمال في السد الجديد ، الذي تم انجازه عام1913 [78]، حيث بلغت كلفته نحو (300) ألف ليرة عثمانية ، كانت حصة تبرعات أهالي الحلة فيها نحو (127) ألف ليرة عثمانية ، وبذلك عاد مجدداً التفاؤل بالحياة لسكان المناطق المتضررة[79] . وشهدت الحلة احتفالات شعبية واسعة ابتهاجاً بافتتاح سد الهندية الجديد ، كما اقامت الحكومة احتفالية رسمية في موقع السد بحضور ((وكيل والي الولاية وقائد الفيلق صاحب السعادة محمد فاضل باشا ، وكثيرا" من المأمورين والاشراف ... ولما كانت الساعة الثامنة من نهار يوم الجمعة الماضية ، فتح المهندسون جدول الحلة بمشهد الحاضرين ، فكان لمجراه إرتياح شديد في النفوس ، حتى يأتوا يأملون من وراء هذا العمل العظيم إحياء أراضي الحلة التي كانت تقدر حاصلاتها من قبل خرابها بشيء خطير ... اما السدة القديمة فانقطع مجرى الماء منها بعد تحوله ... وقد بلغنا ان الماء قد زاد اكثر من مرتين

71- الواعظ ، مصطفى نور الدين : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر، (الموصل ، 1948) ، ص203 .
72- الآلوسي : المصدر السابق ، الورقة 240 .

73- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ق2 / ص10-11.
74- الرقيب : العدد 57 ، 6 شوال 1327 .
75- الرقيب : العدد 46 ، 22 شعبان 1327 .
76- الرقيب : العدد 58 ، 9 شوال 1327 .
77- الرقيب : العدد 141 ، 19 رجب 1328 ، صدى بابل : العدد 59 ، 26 رمضان 1328.
78- الرقيب : العدد 141 ، 19 رجب 1328 ، صدى بابل العدد 59 ، 26 رمضان 1328.
79- الزوراء : العددين 2106 و 2119 في 22 شوال 1324 ، 1 صفر 1325 .

ارتفاعاً ...)) [80]. كما أولت الصحافة التي كانت تصدر آنذاك إهتماماً خاصاً بافتتاح سد الهندية ، اذ نشرت (مجلة لغة العرب) مقالاً بعنوان (مستقبل لواء الحلة) تناولت فيه أهمية المشروع الجديد وشبهته ((بمنزلة الاضلاع للجسم ... فلقد أصبح الري اليوم أيسر الأمور لتحدر المياه اليها بسرعة)) . كما تقدمت هذه المجلة باقتراح الى الحكومة العثمانية كان يقضي بتسيير ((مراكب سريعة الجري مابين سدة الهندية والديوانية ... وان هذا المشروع يبشر بمستقبل زاهر ، وذلك لجمع ريع الحصاد الذي يجتمع على ضفتيه ذلك الريع الذي اذا بقي محله لم يفد اهل تلك الارجاء ... هذا فضلاً عن تلك البواخر تجمع القرى بعضها الى بعض تلك القرى التي تتسالى منسوقة على طول النهر التي لاتزال في حال النشوء ... واذا قيل لنا ان هذه المراكب لاتفيد فائدة تذكر اذا مامد خط السكة الحديدية ، قلنا أن الخط لايمر بالحلة كما هو مشهور ، ولهذا تكون المراكب من أوجب ضروريات حياة الجماعة والاهالي . اما وسائل النقل على ظهور الدواب فهي في منتهى البطء والثقل ، وغير وافية بالمعقود ، اضافة الى النفقات الباهظة . الا ان هناك وسيلة اخرى ، وهي مد فرع للسكة الحديدية البغدادية . وهذا الوضع هو المعروف عند أهل الفن (الفرع الزراعي) لاختصاصه بنقل حاصلات الزراعة وهذا في لابد منه يوماً ، لاتمام خط بغداد بوجه يفي بالمرام ويقوم بحاجيات السكان ، وربط المركزين الكبيرين (بغداد والحلة) برباط واحد يدفعهما للتقدم)) [81].

12- معارضة الحليين لقرار الحكومة العثمانية بنقل مركز المتصرفية الى الديوانية عام 1892:

اتخذت الحكومة العثمانية قراراً مفاجئاً عام 1892 بتحويل مركز التصرفية من الحلة الى الديوانية . ويبدوا ان استمرار ابناء العشائر العربية بالتمرد على السلطة العثمانية بعد أحداث الدغارة التي وقعت عام 1869 ، قد حفز المسؤولين العثمانيين على تدقيق النظر في السياسة الادارية المطبقة في مدن الفرات الاوسط عموماً ، والديوانية وتوابعها على وجه الخصوص . لذا من الممكن القول بانه قرار سياسي غايته اعادة فرض السيطرة على تلك العشائر ، بعد ان باتت تشكل خطراً حقيقياً في تحديها لأوامر السلطة المتعلقة بجباية الضرائب والرسوم المالية المفروضة باسماء شتى ، فضلاً عن موقفها السلبي من قانون التجنيد الأجباري وامتناع ابنائها عن الالتحاق بالجيش العثماني[82]، وقد أثار هذا القرار معارضة أهالي الحلة ، فشكلوا وفداً من الوجهاء لمقابلة المتصرف علي رضا بك ، لأجل استيضاح الأمر، وطلبوا منه مخاطبة مراجعه العليا في بغداد واسطنبول لالغاء القرار ، غير أن الاخير أبلغهم بعدم معرفته أي شيء عن حيثيات ذلك القرار ، فتوجه الوفد بصحبة المتصرف الى بغداد لمقابلة الوالي حسن باشا (1891 - 1896) . والتمسوا منه مخاطبة الباب العالي في اسطنبول للعدول عن قرار الانتقال . كما حاول علي رضا بك إقناع الوالي بوجهة نظره قائلاً : ((كيف يمكن نقل مركز اللواء من مدينة عامرة ... الى قرية جرداء قليلة الماء والكلاء ، هذا بالاضافة الى ان الحكومة ليست سراي يتسع لدوائر الحكومة ، ولاثكنات عسكرية كافية للجند ... والألف ليرة ـ التي خصصت لتغطية نفقات الانتقال ـ لاتفي بذلك))[83] ، وأبدى موظفوا الأدارة المحلية لاسيما العسكريون منهم احتجاجات شديدة ، إذ لجأ كبار الضباط الى محاولة اقناع قادتهم بالعقبات التي تعترض هكذا إجراء كالأبنية والثكنات العسكرية التي تستلزم إنفاق أموال" كبيرة ، ربما لاتتمكن الحكومة من توفيرها . بيد أن الولي حسن باشا فسَر هذه التشبثات بأنها تحريض من قبل الاهالي والمتصرف ضد الاوامر المركزية ، فاستحصل موافقة الباب العالي على نقل علي رضا الى خارج ولاية بغداد ، وتعيين واصف بك متصرفاً بالوكالة ، فاضطر الموظفون الى الالتحاق بمركز المتصرفية الجديد فـــي الديوانية[84]، ويبدو ان زعماء الحلة واعيانها لم يتركوا مناسبة ، الأ وطالبوا الحكومة العثمانية باعادة مركز المتصرفية الى مدينتهم ، كونها الأنسب لاعتبارات إقتصادية وعسكرية وستراتيجية ، فقد حملَوا السيد مصطفى الواعظ مبعوث (نائب) لواء الديوانية في مجلس المبعوثان العثماني مسؤولية عرض الموضوع في الاجتماع الدوري لعام 1909 بالعاصمة اسطنبول . واستجاب السيد الواعظ لذلك ، فالقى خطابا ضمَنه تقريراً مفصلاً عن النتائج السلبية التي نجمت عن نقل مركز اللواء إلى الديوانية ، جاء فيه : ((رئاسة مجلس النواب الجليلة .... كما ان الثابت بالتجارب الواقعة بان الاسباب الموجبة لأنحطاط وتدني واردات لواء الديوانية الداخل في ولاية بغداد ، تولد من تحول مركز اللواء من الحلة الى قصبة الديوانية ، فالثابت كذلك انه من جراء عدم الاعتناء اللازم في تعيين ذوي الاهلية من الموظفين في زمن الأستبداد ... اذ

---

[80]- صدى بابل : العدد 218 ، 21 كانون الاول 1913 .

[81]- مجلة لغة العرب : مستقبل لواء الحلة ، العدد السادس ، السنة الثالثة (1913) ، ص304 .

[82]- للتفاصيل انظر : المهداوي ، د. علي هادي عباس : الحلة في العهد العثماني المتأخر، 1869- 1914 ، (بغداد ، 2002) ، ص 30-42 .

[83]- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص153.

[84]- للتفاصيل انظر : العطية : المصدر السابق ، ص69 .عبد الكريم ، د. ياسين : الجيش والسلاح ، ج5 (بغداد ، 1988) ، ص340 .

كان اكثر الموظفين ممن لم تسبق لهم التجارة والخدمات الحسنة ، حيث كانوا غير عالمين باحوال العراق وطبائع عشايره ، وغير واقفين على ما تقضيه الامور من حكمة الحكومة مادة ومعنى ، وعدا ذلك فمن نقل مركز اللواء عدة مرات من الحلة الى الديوانية .الأمر الذي لم تره له اية فائدة بل على العكس ، حيث أفضى الى مضار عديدة كما تحقق بالتجربة . وذلك لأن والي بغداد الاسبق المرحوم (المشير نامق باشا) ، كان مبدئياً قد نقل مركز لواء الحلة الى الديوانية . ثم لاحظ بعدها من الموازنة المالية للواء خلال سنتين بان الواردات قد تناقصت وتعرضت الحلة المعمورة الى خراب . وقد زاد ذلك الديوانية خراباً على خراب ... وغني عن العرض والبيانات ، انه بعد أن صرف على تحكيم وانشاء سدة الهندية ، مبلغ اكثر من مأة ألف ليرا (مئة ألف ليرة) في زمن الوالي المرحوم سري باشا ، فانه من جراء نقل مركز الحلة الى الديوانية ، كان الموظفون قد أهملوا العمل بمندرجات التقدير المنظم من قبل المهندس (شوت رفرك) حيث لم يلاحظوا السدة ويعمروها من وقت لآخر ، في كل سنه ، فادى ذلك الى انقطاع جريان مياه الفرات من الحلة وتوابعها ، فتعطلت انهار اللواء واراضيه عن الزراعة، وتفرق الزراع والاهالي واحداً فواحداً ، وتردت واردات اللواء الى الحد النهائي ، وبذلك تعرض الزراع والاهالي الى الفقر ، والى مثل هذا الحد من الخسائر والمضار ... ومما يدعو الى التعجب ان الآلاي النظامي الخيال الموجود في الحلة بالرغم من مرور خمسة عشر سنة ، وهو في الحلة ، فانه لحد ذلك الوقت لم ينتقل الى الديوانية ، بينما كان يقال بان بقائه انما هو لحد انشاء وتعمير ثكنة الخيالة في الديوانية مركز اللواء ، فصرف النظر بعد ذلك عن تعمير الثكنة في الديوانية مما زاد في الخراب ... وهكذا فأية فائدة كانت في نقل مركز اللواء الموجود من الحلة الى الديوانية غير التسبب في مثل هذه الاضرار، والخسائر الذي حاق بمثل هذه اللواء وملحقاته ، حيث كان المركز في الحلة يعد بخمسة آلاف دار، وفي الملحقات بخمسين قرية أو يزيد ، مع الانهر المتعددة ، وعلى هذا فاني أعرض ما توارد على خاطري من الملاحظات وهي :

أولاً : ان يكون الموظفون الذين يعينون الى هذا اللواء من ذوي العِفة والاستقامة والعلم .

ثانياً : اعادة مركز اللواء الى الحلة كما في السابق ، وجعل الديوانية قضاء كما كان سابقاً .

ثالثاً : بعد تعمير سدة الهندية ، ان تلاحظ التوصيات الكاملة الواردة في تقرير المهندس والعمل بموجبها .

رابعاً : ترغيب الزراع والفلاحين في الزراعة ، وقيام الملاكين بمساعدة الفلاحين العاجزين عن الزرع بإقراضهم البذور ، ولتسقام الأراضي.

وفي حالة العمل بمعروضاتي فان لواء الحلة سيعود عامراً باذن الله كما كان أولاً . ولا شبه فأرجو بعد تلاوة الطلب في المجلس العام إحالته الى لجنة الداخلية))[85] ، وعلى الرغم من المبررات الموضوعيه التي ضَمنها الواعظ تقريره أمام البرلمان العثماني ، الأ ان الحكومة العثمانية لم تأخذ بها لأسباب تتعلق بخصوصية السياسة الادارية التي اقرها المسؤولون العثمانيون ، والمتمثلة بفرض السيطرة واحتواء عشائر الفرات الاوسط ، وتقدم زعماء الحلة في عام 1914 بطلب الى المجلس العمومي لولاية بغداد لمناقشة موضوع إعادة مركز المتصرفية الى الحلة ، حيث ذكرت صحيفة الزوراء ، ان المجلس قد خصص الجلسة الخامسة في دورته الثانية للتداول بشأن ذلك الموضوع ، غير أن الاراء التي طرحها اعضاء المجلس كانت لاترقى الى مطلب الحليين ، ومنها إمكانية فك الارتباط الاداري لقضاء الحلة [86] من لواء الديوانية والحاقه بمتصرفية كربلاء ، لذا لم تفض المناقشات التي جرت في الجلسة الى نتيجة حاسمة ، وتم اللجوء الى عملية التصويت ، حيث إرتأت الاكثريةَ إبقاء الوضع الاداري للحلة على ماهو عليه لعدم وجود ضرورات تقتضي التغيير[87]، وهكذا بقيت الحلة على وضعها الأداري كقائمقامية حتى مجيء البريطانيين إلى العراق ، حيث أعادتها سلطة الاحتلال البريطاني الى درجة المتصرفية ، وعينت لإدارتها المستر كولد سمث عام 1917 .

13- ادانة الحليين للحملة العسكرية العثمانية ضد اهالي كربلاء عام 1906:

لم يكن القرار العثماني بفصل كربلاء عن لواء الحلة وجعلها متصرفية تضم قضائي الهندية والنجف بعد عام 1872 ، ليثمر عن نتائج ايجابية مبتغاة من جانب السلطة العثمانية إذ فشلت السياسة الادارية القائمة على أساس ((رقعة إدارية أصغر = سيطرة مركزية أكبر = واردات اكثر)) ، بسبب استمرار العشائر العربية في تلك المناطق بالمماطلة في دفع الضرائب لسنوات متتالية . الأمر الذي واجهته الحكومة العثمانية بمزيد من وسائل الضغط العسكري المستمر ضد ابناء تلك العشائر ، الى درجة إستخدام القوة المفرطة احيانا" . فعلى سبيل المثال ، قد بلغ مجموع مستحقات الضرائب الزراعية في عموم متصرفية كربلاء لعام 1904 نحو

---

[85]- الواعظ : المصدر السابق ، ص248-250 .

[86]- الزوراء : العدد 2503 ، 3 ربيع الآخر 1333 .

[87]- الرقيب : العدد 13 ، 24 ربيع الاول 1327.

(46987) ليرة عثمانية ، استحصل منها (39435) ليرة عثمانية ، اي بفارق (7552) ليرة عثمانية . وفي عام 1905 إزدادت الضرائب المستحقة نحو (49365) ليرة عثمانية ، تمكنت السلطة من جباية (43453) ليرة عثمانية ، اي بفارق (5912) ليرة عثمانية . إما في عام 1906 وبسبب الاضطرابات العشائرية التي شهدتها المتصرفية لاسيما في قضاء الهندية ، فقد تناقصت الى (42140) ليرة عثمانية ، لم يجبى منها سوى (3923) ليرة عثمانية فقط . اي بفارق (39217) ليرة عثمانية .

مما تقدم يتضح ان مجموع ديون الضرائب الزراعية المتبقية على ذمة أبناءالعشائر في كربلاء وتوابعها خلال المدة (1904 – 1906) بلغت نحو (52681) ليرة عثمانية ، مما دفع بالحكومة العثمانية الى توجيه حملة عسكرية ضدهم . وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها شيوخ العشائر في كربلاء لاقناع المسؤولين العثمانيين بوطأة الضرائب وثقلها على المزارعين في ظل عدم استقرار الاوضاع العامة جراء المنازعات العشائرية الا‌ان ان تلك المحاولات باءت بالفشل.إذ أقدمت السلطة العثمانية على حشد قوة عسكرية كبيرة ، وشنت هجومها شاملا" على كربلاء والمناطق الزراعية التابعة لها راح ضحيته العشرات من الابرياء دون الألتفات الى حرمة المراقد المقدسة . الأمر الذي أثار غضب العراقيين جميعا" ، لاسيما في مدينة الحلة ، حيث شهدت تجمعات دينية وأدبية أدانت واستنكرت (حادثة كربلاء السوداء) . واقيمت مجالس دينية ، وارتقى منابرها خطباء نددوا بالمجازر التي إرتكبها الاتراك في هكذا مدينة مقدسة ، ووصفوها بـ (الفضيعة) .

إما الادباء والشعراء فقد صدحت اصواتهم مستنكرة تلك الفعلة الشنيعة بحق ابناء كربلاء ، كما فضحوا الأساليب القمعية التي لجأت اليها الحكومة العثمانية في تعاملها مع السكان ، ومنهم الشاعر يعقوب الحلي الذي عرف بسخطه على سياسة العثمانيين في انتهاكهم الفاضح لحرمة كربلاء وقتل ابنائها ، فكتب قائلا" [88]:

إن جئت عرصة كربلا فقف بـها متأمـلا
وترى اخيرا" مصابـها قد عاد يحكـي الأولا
في كل يوم نكبـــة لم تنسى ذكراها الملا

14- موقف أهالي الحلة من الدستور والسياسة الاتحادية 1908 - 1909:

كان لاستئثار السلطان عبد الحميد الثاني بالسلطة وانفراده بالحكم وتجميده العمل بـ (دستور عام 1876) ، وتعطيله لـ (مجلس المبعوثان) ، الأثر الكبير في ازدياد الدعوات التي طالبت بتغيير النظام والقضاء على مظاهر الاستبداد في مختلف الانحاء العثمانية[89] . فبموجب الدستور (القانون الأساس) كان مجلس الامة العثماني يتألف من مجلس الأعيان ، ومجلس المبعوثان ، فالأول يعين اعضاؤه مدى الحياة ، والثاني ينتخب اعضاؤه من بين السكان بطريقة الاقتراع السري ، على أن يمثل العضو الواحد خمسين ألف شخص ، ويعتبر نائبا عن جميع العثمانيين وليس فقط عن المنطقة الانتخابية[90]، لكن السلطان عبد الحميد حجم دورالمؤسسات الدستورية ، حتى ان المؤرخين اطلقوا على مدة حكمه تسمية (عهد الاستبداد الحميدي)[91]، وإثر الانقلاب الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي في عام 1908 ، تكللت جهود الاتحاديين بارغام السلطان عبد الحميد على اعادة العمل بالدستور المذكور ، وحملته على الغاء الرقابة والجاسوسية ، وملاحقة المطالبين بالاصلاح . ففي صبيحة الرابع والعشرين من تموز 1908 ، عمّت الولايات العربية مظاهر الاحتفال والابتهاج ، اذ اعلن سكان هذه الولايات تأييدهم وترحيبهم بالشعارات التي أطلقها الاتحاديون في وسائلهم الدعائية ، كالحرية والإخاء والمساواة ، على أمل ان تطوى صفحة سوداء من الاستغلال والاستبداد . وان يستعيد العرب حقوقهم القومية التي طمست على مدى اكثر من أربعة قرون من التسلط العثماني ، وان يقرروا مصيرهم بعيداً عن تدخل العثمانيين ، وعلى أدنى تقدير ، ان يضمن لهم الدستور تحسين الأوضاع في ولاياتهم المهملة ، ونشر اللغة العربية واحترام عاداتهم وتقاليدهم[92] ، وقد إستبشر العراقيون خيراً بأعادة الحكم الدستوري ، فأقيمت بهذه المناسبة احتفالات رسمية وشعبية في عدد من المدن العراقية ، حيث شهدت مدينة الحلة مهرجاناً كبيراً حضره

---

[88]- نقلا" عن مجيد ، محمد حسن علي : الشعر في الحلة 1824 – 1917 ، اطروحة ماجستير – غير منشورة – مقدمة الى كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1977 ، ص150 .

[89]- القيسي ، عبد الوهاب : حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 3 (1961) ، ص114-115 .

[90]- الأدهمي ، محمد مظفر : الحركة البرلمانية العثمانية في العراق ، مجلة آفاق عربية ، العدد 6 (شباط 1977) ، ص22.

[91]- الحصري ، ابو خلدون ساطع : محاضرات في البلاد العربية والدولة العثمانية ، (د. م ، 1957) ، ص 84 - 87.

[92]- للتفاصيل انظر : البستاني : المصدر السابق ، ص 239 - 242 ، أنيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي ، 1514 - 1914 ، (القاهرة ، د. ت) ، ص257 .

مسؤلو الادارة المحلية من مدنيين وعسكريين ، فضلاً عن ابناء المدينة والوجهاء وزعماء العشائر . فانطلقت ألسنة الشعراء والخطباء مرحبة بالدستور[93] ، إذ اعتقد الشاعر الحلي (حسن العذاري) ، ان الحياة الدستورية الجديدة تمثل منعطفاً سياسياً جديداً في حياة العراقيين على طريق وضع نهاية لمظاهر الفساد والاستغلال والظلم الذي عانت منه الشعوب التي خضعت للسيادة العثمانية ، فأنشد قائلاً [94]:

بشرى البلاد وعن البلاد بعصره قطع الفساد فلا يعاد فيشغب
أو ما ترى الدستور نفذ حكمه وبه تمزق ليل ظلم غيهب

ويرى بعض الكتاب أن ظاهرة الوعي الدستوري لدى الحليين في بداية القرن العشرين كانت بتشجيع من قائمقام الحلة آنذاك (نامق أفندي) اذ كان من الدستوريين ، وقد حفز أهالي الحلة على الأنضمام للأصوات المطالبة بالدستور[95] .بينما عزى البعض الآخر تلك الظاهرة الى الفرحة التي تملكت نفوس الحليين بسبب الاحباطات الكثيرة التي عانوا منها على مدى بضع قرون من التسلط العثماني . وبذلك فهي ليست ناجمة عن وعي سياسي دستوري ، بقدر ما كانت متنفساً للتعبير عن حالات الاحباط التي رافقت سوء الاجراءات العثمانية في التعامل مع السكان[96]. ولكن لم تمضَ مدة طويلة حتى تبددت أمال المستبشرين بالدستور ، بسبب سياسة الالتفاف التي انتهجها السلطان عبد الحميد مرة أخرى ، بذريعة ان المواد الواردة في ذلك الدستور مخالفة للشريعة الاسلامية ، وانها مناقضة لمشروع الجامعة الاسلامية ((ويجب الغاؤه)) . كما هاجم مجلس المبعوثان واتهمه بعرقلة ((أمور السلطنة)) في محاولة منه للانفراد بسلطة القرار. وقد اطلق السياسيون والمؤرخون على ذلك تسمية (الثورة المضادة)[97] ، لقد أحدثت سياسة السلطان عبد الحميد هذه ، غضباً عارماً لدى الرأي العام في كافة الولايات العثمانية ، اذ تعالت أصوات الاستنكار منددة بالسلطان ومهددة باعلان الثورة [98].فانطلقت من الحلة الفيحاء نداءات طالبت عبد الحميد بالتخلي عن كرسي الحكم لاجل مصلحة الامة ، ومنها نداء السيد محمد علي القزويني[99] :

غادرت رب قصر يرعد صاغراً لأمرك مذ فاجأته مبرقا

وأشارت إحدى الدراسات ان موقف السيد القزويني ((اضافة لما يمثل من وعي سياسي في الحلة ، فانه يعطي صورة واضحة عن تماسك الحليين وتضامنهم ، لان القزويني لم يكن يجرء ليرفع البرقية لو لم يعرف انه يستند الى قاعدة شعبية ، يظن انها تحميه من غضب ورَد السيد الحاكم في الوقت المناسب ... واغلب الظن ان السلطان عبد الحميد لم يتسلم البرقية ...))[100] . بيد أن جماعة الأتحاد والترقي تمكنت من الأطاحة بالسلطان عبد الحميد في نيسان عام 1909، وأجبرته على التنازل عن العرش ، وفي السابع والعشرين منه نصبت (محمد رشاد) خلفاً له. كما أصدر المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي في سالونيك برقية عاجلة الى جميع فروعه في مختلف الولايات العثمانية ، لبث خبر هذا الحدث الى الرأي العام وقد تسلم فرع الحلة تلك البرقية بعد منتصف الليل ، فشرع أعضاؤه فوراً بإعداد الترتيبات اللازمة لأعلانها في الصباح الباكر . حيث أُقيم احتفال رسمي وشعبي كبير في سراي الحلة ، حضره جمع كبير من موظفي القضاء وضباط الحامية العسكرية ، بالإضافة إلى زعماء العشائر والوجهاء ورجال الدين وعامة الناس[101] . ثم تلا أحد الأعضاء نص البرقية التي ختمت بالعبارة الآتية :)) ... ونبشركم أيها الأخوة بخلع عبد الحميد ، واجلاس حضرة السلطان محمد الخامس على التخت العثماني))[102] . بعدها قرأ مفتي الحلة السيد مصطفى الواعظ دعاءً ابتدأ بالآية الكريمة ((قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير)) . وإذا بالناس ((يبكون بكاءً مراً)) حسب قول

93- الجابري ، محمد هليل : الحركة القومية في العراق 1908 - 1914 ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ،كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1972 ، ص64 .

94- الواعظ ، رؤوف : اثر الدستور العثماني في خلع السلطان عبد الحميد في الشعر العراقي ، مجلة كلية الآداب بغداد ، (1972) ، ص261 .

95- الادهمي : المصدر السابق ، ص24 .

96- نديم ، شكري محمود : احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية 1908 - 1918. رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة بغداد (1985) ، ص53 .

97- البصير : نهضة العراق الادبية ، ص345 - 350 .

98- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ، ق1 ، ص220 .

99- مجيد : الشعر في الحلة ، ص175 - 176 .

100- للتفاصيل انظر : مجلة العرفان : الجزء الخامس ، المجلد الاول (نيسان 1909).

101- الرقيب : العدد 15 ، 8 ربيع الآخر 1327 .

102- الواعظ ، مصطفى : المصدر السابق ، ص389 .

الواعظ، ومما يجدر ذكره ان مسألة خلع السلطان عبد الحميد بقدر مالاقت من ترحيب لدى الرأي العام العثماني فأن أعداداً غير قليلة من الناس وتحت تأثير العامل الديني ، انتابها شعور بالاسى والأسف وجهشت بالبكاء ، لان فكرة الجامعة الأسلامية التي اراد من خلالها عبد الحميد استقطاب العرب ،قد أضفت على شخصه المهابة والاحترام [103]. وبمناسبة التغيرات التي أحدثها الاتحاديون ، فقد أشاد شاعر الحركة الدستورية (عبد المطلب الحلي) بزحف أولئك الرجال الذين إنقضَوا على (عهد الاستبداد) ، ودعا السلطان الجديد الى إقامة العدل بين الرعية ، فكتب قائلاً [104]:

فهبت رجال من سلانيك أيقـظت الى العدل عين الحزم والحزم نائم
دعــوا للتساوي دعوة وطـنية اجاب لها منهم مجهول وعـالم
ولم يبق من تلك العروش وان علـت بناء سـوى الآثار فهي علائم
ترجل عنها صاحب التاج واغـتدى ترن بــها تلك القصور الحمائم
وقام بها والـــي الرشاد (محمد) دليلاً لطـرق العدل ان جار ظالم

ومن الجدير بالذكر ان عبد المطلب الحلي كان أحد أبرز دعاة اللامركزية الادارية في العراق ، وقد لعب دوراً مؤثراً في السياسة والدعاية للعرب والعروبة ضد التسلط الاجنبي العثماني . مساندا" في ذلك دعوة السيد طالب النقيب في البصرة ، والشيخ مبدر آل فرعون أحد أبرز زعماء الفرات الاوسط وقتذاك لقيام حكم لامركزي في العراق[105] . كان الاعتقاد السائد في الولايات العثمانية بعد عزل السلطان عبد الحـميد ، ان تـترجم الشعارات البراقة التي نادى بها الاتحاديون على أرض الواقع . غير أن خيبة أمل كبـيرة انتابت المتــطلعين الى الحكم الدستوري وخاصة في الولايات العربية ، حينما عمد قادة الاتحاد والترقي الى اسلوب المركزيةالادارية في الحكم ، وصاروا يتهافتون على المناصب والامتيازات ، متناسين الوعود التي روجوا لهـــا إبان فترة صراعهم مع السلطان عبد الحميد ، بل انهم بلغوا درجة من التمادي بتبنيهم لدعوة (الطورانية) الــتي كان شعارها ((نحن اتراك قبل ان نكون مسلمين))[106] ، وبذلك مهدوا لسياسة خاطئة وغير متوازنة عرفت بـ (سياسة التتريك) ، كان من مظاهرها في العراق التشدد في مسألة استخدام اللغة العربية في المخاطبات الرسمية ، وفتح فروع لجمعية الاتحاد والترقي في مختلف المدن العراقية ، فضلاً عن ترشيح العناصر الاتحادية في انتخابات مجلس المبعوثان[107] . وعلى الرغم من تلك الاساليب والممارسات ، فقد حافظ العراقيون على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية الاصيلة ، وبقيت مدن بغداد والحلة والنجف وكربلاء مواظبة في الحفـاظ على لغة الضاد وتعلم آدابها[108] .

كما تصدى أعلام الحلة من الشعراء والادباء للسياسة الاتحادية ، ومنهم الشاعر (حسن خسباك الحلي) الذي أفصح عن رفضه التام لتلك السياسة ، مؤكداً ان ابناء العروبة لن يناموا على ضيم ، وسيقررون مصير أمتهم بانفسهم ، ليظل علم العرب خفاقاً مرفوعاً على سارية المجد . وقد ضمن ذلك في قصيدته المعروف بـ (علم العرب) ، قال فيها[109] :

ايـــها الشامخ المهاب علاءً قارع الشهب واصرع الاجراما
كيف يخشى لك العلا حاشى تخشى نكداً والسيوف قامت دعامــاً
ألفت نفســك النفوس فمست تحب الموت في حماك سلامــا
سعدت امة حمتك ظبـــاها وابت عن كيانها ان تنامـــا
عــاهدت بيضك تحوطك حتى تدرأ الضيم أو تذوق الحمامــا

ولم تمض بضع سنوات على استلام الاتحاديين مقاليد الحكم حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ، وأصبحت الدولة العثمانية أحد أطرافها المتحاربة.

---

[103]- برو ، توفيق علي :العرب والترك في العهد الدستوري 1908- 1914 ،(القاهرة ،1960)، ص34.
وللتفاصيل انظر : الوردي ، د.علي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج3 (بغداد ، 1972) ، ص 169- 171.
[104]- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ، ق2 ، ص40 - 52 .
[105]- الخاقاني،علي:شعراء الحلة ،(بغداد ، ط1975،2)،ص325.البصير: نهضة العراق الأدبية،ص326.
[106]- الوردي : المصدر السابق ، 3/ ص207 - 209 ، عز الدين ، يوسف : تطور الفكر الحديث في العراق ، (بغداد ، 1976) ، ص44-45 .
[107]- الأرحيم ، فيصل محمد : تطور العراق تحت حكم الاتحاديون ، (الموصل ، 1975) ،ص235- 242 .
[108]- الفيحاء : العددان 3 و4 في 7 و14 شعبان 1345 / 10 و17 شباط 1927 ، الوائلي ، ابراهيم : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، (بغداد ، 1978) ، ص80 .
[109]- الخاقاني : المصدر السابق ، 2/ ص10 ، وعن ترجمة الشاعر حسن خسباك ، الحلي ، انظرالمصدر نفسه ، ص5 .

15- جمعية الاتحاد والترقي- فرع الحلة عام 1909:

تم تأسيس أول فرع لجمعية الاتحاد والترقي في العراق عام 1908 ببغداد ، واعقب ذلك تاسيس فروع أخرى للجمعية في الموصل والحلة والنجف وكربلاء . فقد تأسس فرع الحلة عـــام 1909، وسط احتفالية القيت فيها خطب وقصائد تضمنت دعوة الحليين للأنخراط في صفوف الجمعية [110].كما اعلن فيها اسماء تشكيلة الفرع برئاسة اليوز باشي حمدي أفندي بن حنوف وعضوية شكري بك ، حسين بك بن كنج أغا ، فتحي أفندي ، كريكور(ملقح الجدري) وعمر أفندي[111]. (2) وقد بذل هؤلاء قصارى جهودهم من أجل الترويج لدعاية الاتحاديين ، ونجحوا في استقطاب أعداد غير قليلة من عامة أبناء الحلة وشيوخ العشائر والوجهاء . بيد انه سرعان ماتكشفت حقيقتهم ، حيث راحوا يطلقون الخطب والتصريحات الأستفزازية التي تمس بالمشاعر الدينية للاهالي ، وخاصة الخطاب الذي القاه رئيس الفرع حمدي أفندي في جمع من الحليين ، مذكراً اياهم بعهد الاستبداد الحميدي وما رافقه وساده من ضعف في اداء اجهزة الحكومة ، وختمه قائلاً) : ان هذا دور الحرية والمساواة والاخوة ، فقد أصبحتم واليهود أخوة ، فلا فرق بين المسلم واليهودي !!!)) . وقد الهب هذا القول مشاعر المحتشدين فاستشاطوا غضباً ، وحينما ((وصل الخبر الى العامة أخذوا يبحثون عن الضابط (حمدي أفندي) ليقتلوه ولكنهم لم يجدوه))، ويبدوا أن حمدي أفندي لم يأبه برد الفعل الغاضب للشارع الحلي ، فبعد بضعة أيام ((كان جالساً في احـدى المقاهي وأخذ يتكلم عن الحرية ومزاياها ، فتعرض لحفلات المولد النبوي ، ومجـالس التـعزية ، ثم قال ان المفتي يشبه مطران النصارى ، وان السيد القزويني يشـبه حاخام اليهود ... فثار أهل الحلة وأخذ كل منهم سلاحه ، وهجموا على القشلة يريدون قتل الضـابط))[112] ولما سمع السيد محمد القزويني بذلك القول الجارح ((أمر بترك اقامة العزاء الى ان يقتص من هذا الرجل ... وكذا الخطيب عبد السلام حافظ أغلق باب الجامع)). كـــما اعلن الحليون اضراباً عاماً لمدة اسبوع واحد ، توقفت فيه كافة الانشطة التجارية واغلقت الاسواق احتجاجاً على الاقوال غير المبررة لـ حمدي أفندي . وازاء ذلك اضطر الاخير الى الاختفاء ، أما بقية الاعضاء (شكري بك ، فتحي أفندي ، حسين بك ، كريكور) فتمكنوا من الهرب الى بغداد ، فيما تحصن عمر أفندي في داره وسط حماية من الحراس . واندفعت مجاميع من الحليين فهاجمت ((نادي الاتحاد ونهبوا مافيه من اثاث ...ولم تهدأ الحلة حتى اخرج حمدي أفندي مخفوراً وسيق الى بغداد))[113] . (2)عقد وجهاء الحلة اجتماعاً للتداول بخصوص تلك التجاوزات ، وقرروا ارسال برقية شكوى الى المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي في سالونيك ورد فيها : () لقد أساء أحد رؤساء رديف الحلة تفسير احكام القانون الاساسي ، فتجاسر بالظهور في مظهر المستبد بالامور ، حيث جاء الى دار الحكومة وشتم رئيس المحكمة ، والمستنطق في المحكمة ، وأقدم على اخراج مجرم موقوف ، لاتزال التحقيقات جارية بحقه من قبل الدوائر العدلية من السجن جبراً رغم القانون وخلافاً لصلاحيته ، وأخل بمكانة الحكومة وشرفها بتعاطي بعض الامور المضللة ، وانتهك احكام القوانين بمنعه الموظفين من مزاولة اعمالهم . ولم يكتفَ بذلك بل قام بتحريض الاهالي ضد الحكومة في السوق والمقاهي ، وتعليمهم صور الاستبداد ، وعدم الاعتراف بالحكومة ، بالقائه الخطب على أذهان الاهالي وظهوره بطور غير مستقيم ، حتى انه عمد الى منع جمعية الاتحاد من المداخلة بامور الحكومة ، وسب وشتم وكيل قائمقام المفتي السيد مصطفى أفندي ... وفي المقاهي خلافاً للآداب العسكرية ، دون ان يحترم سيادته وعلمه وفضله . مما أجبر القسم المحب للعلم من الاهالي، وسامتهم الى التحرك بهذه الجرأة الامر الذي يلاحظ من ظهور أثار الاخلال بالأمن بصورة أكيدة .كما هو معلوم ولكي لاتحدث حادثة مافي المستقبل))[114]، وحال وصول تلك الشكوى الى المركز العام قررت الجمعية ايفاد لجنة تحقيقيه برئاسة اليوزباشي عمر أفندي الى الحلة ، حيث التقت وجهاء المدينة ، الذين اعربوا عن التذمر السائد لدى الاوساط الحليَة بسبب التجاوزات غير المبررة على رجال الدين والمعتقدات الدينية . ويبدو أن اللجنة قد توصلت الى قناعة تامة بادانة رئيس الفرع واعضائه ، لذا قررت اقالتهم ، وأعادت تشكيل الفرع من ((اشراف البلدة ووجهائها ... برئاسة المفتي (مصطفى الواعظ) وصار السيد محمد القزويني نائباً له))[115] ، وذكر السيد مصطفى الواعظ ان اليوزباشي عمر : ((نزل ضيفاً على القزويني ... وزاره المفتي في دار القزويني ، فقال

---

[110]- الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ، (بيروت ، 1980) ،ص7،الجبوري ، عبد الجبار حسن : الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي 1908 - 1914، (بغداد ، 1977) ، ص19.

[111]- الوردي : المصدر السابق ، ج3، ص164.

[112]- الوردي : المصدر السابق ، 3/ ص 164- 166.

[113]- الواعظ ، مصطفى : المصدر السابق ، ص229-230 .

[114]- الواعظ مصطفى : المصدرالسابق ، ص 230.

[115]- الوردي : المصدرالسابق ، ج3، ص167.

عمر لـ المفتي : أنتم أمرتم في سد نادي الاتحاد وتفريق اعضاءه؟ فاجابه المفتي : نعم اني أمرت بسد نادي الفساد لا الاتحاد ... عندئذ طلب عمر أفندي اليوزباشي من مصطفى الواعظ تشكيل حزب يرأسه المفتي والقزويني ... فشكلوا الحزب وانضَم اليه في يوم واحد آلاف من الناس ، وانتخب للرياسة المفتي ، ولنيابة الرئاسة القزويني ، وأعلم عمر أفندي المركز العمومي بذلك ، وفي اليوم التالي وردت برقية شكر من المركز العمومي للمفتي والقزويني ... ثم عاد عمر أفندي اليوزباشي الى سلانيك))[116] .

مما تقدم يتضح ان وجهاء الحلة قد نجحوا في ممارسة الضغط على المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي وحملوه على ابعاد العناصر التي أساءت الى رموزهم ومعتقداتهم الدينية . وان يتولى زمام القيادة أشخاص عرفوا بمقارعتهم لعهد الاستبداد الحميدي وفي مقدمتهم السيد محمد القزويني . وربما أدركت القيادة في المركز العام ضرورة اجراء التغيير لامتصاص نقمة الحليين وضمان ولائهم للاتحاديين من جهة ، ولتوسيع قاعدة الجمعية في الحلة من جهة أخرى، ويبدو ان ماذكره السيد الواعظ بخصوص إنتساب آلاف الحليين للجمعية مسألة تميل الى المبالغة ، بسبب الافتقاد للوعي السياسي الناضج في ظل التخلف والأمية القائمة آنذاك . حقيقة ان اعداداً غير قليلة من الناس أبهرتها الشعارات الرنانة عند إقصاء السلطان عبد الحميد ، بيد انها لم تدرك نوايا ومخططات قادة الاتحاديين الذين تستروا بتلك الشعارات . وقد عللت احدى الدراسات اندفاع الشباب وانضمامهم للجمعية بمليء الفراغ ((وليشعروا بانهم شيء في الكيان الاجتماعي ، وانهم اصبحوا رجالاً))[117] .

وبعد قرابة سنة ونصف اجرى المركز العام ، تغييراً آخر في رئاسة الفرع ، وتم اسنادها الى السيد اسماعيل بن مصطفى الواعظ لاسباب غير معروفة ، ((... وحللت في الحلة ،وطلب مني أحد أعضاء الحزب الحاج نامق اليوزباشي (قائمقام الحلة) ، ان ادخل الحزب المذكور ... واحل محل الوالد للرئاسة . ولما رأيت الامر لابد من الايجاب أجبت مكرهاً . لاني قد وقفت على حالة الاتحاد ، فوجدت اعمالهم خلاف نظامهم ، ولذا مأحببت الانضمام اليهم ، لكنني لايسعني السلب ، وترأست الحزب ثم استقلت بعد مضي عشرة أشهر . وسبب استقالتي هو ان من دخل هذا الحزب يريد ان يستقل في الامور ، لما يرى من سيطرة الحزب على الحكومة . وكان نظام الحزب الداخلي يحتم على الحزب مادته المخصوصة ، اذا تحقق عن مأمور كبير أو صغير سوء اخلاق أو ارتشاء أوغيره ، ان يقرر ذلك بعد استشهاد شاهدين عدلين ، ويعرض الكيفية الى المركز العمومي ، فالمركز هو الذي يعرض الكيفية على الحكومة ، فالحكومة تجازي ذلك المأمور ... غير ان الاعضاء المنتسبين الى الحزب كلفوني ان اقرر في جلسة عقدت على أخبار أن القائمقام والقاضي ومديرالمال يجب فصلهم عن الوظائف . فقلت ان المادة المخصوصة تحتم علينا ان ناخذ شهادة الشهود ، ونعرض الكيفية الى المركز العمومي . والمركز يراجع الحكومة ، والحكومة تفصلهم عن وظائفهم ، والأ فنحن لايسعنا ذلك لاننا لسنا بحكومة ... فطال القيل والقال وكثرالجدال))[118] ، ويبدو ان فرع جمعية الاتحاد والترقي قد فقد تأثيره في المجتمع الحلي ، وذلك بعد ان تكشف زيف الشعارات وانعدمت مصداقية الوعود بالاصلاح . كما فقد الفرع عدد كبير من منتسبيه ومؤيديه بسبب سوء السياسات التي اعتمدها الاتحاديون في تعاملهم مع الشعوب الخاضعة لسلطتهم ، لاسيما الشعب العربي ، وقيامهم بقمع الثورات في بعض الولايات العربية ، فضلاً عن موقفهم البائس والضعيف في الدفاع عن قضايا العرب تجاه اطماع الدول الاستعمارية الكبرى ، اذ لم تعد تسمع اخبار هذا الفرع عند اندلاع الحرب العظمى عام 1914.

16- مناصرة الحليين للقضايا القومية:

عبَر الحليون عن مواقفهم العربية الاصيلة في مساندتهم ونصرتهم لأي تحرك عربي كان يهدف الى استرداد حقوق العرب المشروعة في الحرية والاستقلال اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . وقد تصدر ادباء وشعراء الحلة ـ لسان حال المجتمع الحلي وقتذاك -فآزروا التطلعات الرامية للتحرر من الهيمنة العثمانية في مختلف الولايات العربية ، رغم صعوبة الاتصالات ومحدودية الصحافة .

فقد حظيت ثورة اليمن بقيادة محمد بن يحيى ضد السلطة العثمانية عام 1894 بتأييد عربي واسع ، نظراً لما مثلته من مواجهة حقيقية للتخلص من التسلط العثماني . حيث اظهر العراقيون مشاعر الفرح والتأييد لتلك الثورة ، فانطلقت ألسنة الخطباء والشعراء في مدينة الحلة ، مباركة هذه الخطوة الجريئة ، اذ ارسل (شاعر الحلة الدستوري) عبد المطلب الحلي برقية الى الامام محمد بن يحيى ، قال فيها[119] :

سر وأنه وأحكم فانت اليوم ممتثل والامر أمرك لاما تأمر الدول

---

[116]- الواعظ ، مصطفى : المصدر السابق ، ص232 .

[117]- عز الدين : المصدر السابق ، ص33.

[118]- الواعظ ، مصطفى : المصدر السابق ، ص389.

[119]- الحلي ، جعفر : سحر بابل وسجع البلابل ، (صيدا ،1331هـ) ، ص358-359 .

عنك الملوك انثنوا عجزاً وما علموا أأنت زدت علواً أم هم سفلوا
من كان في حكمــه بالله منتصراً فلا تقابله الانصـار والخـول

وقد أشارت احدى الدراسات ، بان هذه البرقية دليل على وجود مشاورات واتصالات بين العراقيين واخوانهم في اليمن ، للتداول في التخلص من السيطرة العثمانية[120] .

بينما ذكرت دراسة اخرى ، ان مثل هذه البرقيات تمثل موقفاً قومياً من اجل اضفاء الشرعية على ثورة الامام يحيى ، طالما كانت تهدف الى التحرر من التسلط الاجنبي وتحقق الاستقلال [121]. كما أججت الهجمة الاستعمارية الايطالية ضد طرابلس الغرب (ليبيا) في عام 1911 ، مشاعر العرب في كل مكان . وأدركت النخب المثقفة خطورة المخططات الرامية لاقتسام البلاد العربية بين الدول الكبرى في وقت اظهر فيه العثمانيون عجزهم التام في الدفاع عن رعاياهم بوجه مخططات تلك الدول . وقد ندد الحليون بتلك الهجمة الشرسة فأدان الشاعر عبد المطلب الحلي الفعلة الايطالية النكراء بحق ابناء طرابلس المغرب ، فاضحا الاساليب الاستعمارية المراوغة ، التي تدعو في ظاهرها الى السلام والوئام ، بينما تخفي في طياتها بذور الشر والعدوان ، وكتب قائلاً [122] :

ايها الغرب منك مـاذا لـقينا كل يوم تثـير حـربا طحونا
تظهر الســلام للانام وتـخفي تحت طي الـضلوع داءً دفينـا
أجهلتم بانـــنا مـذ خُلقنا عرب ليـس يـنزل الضيم فينا
ولنا نبــعة من الـعز يأبــى عـودها ان يــلين للغازينـا
علمونا ضـرب الرقـاب دراعاً وعلى الطعن في الكلى دربونـا
نحن قوم اذا الــوغا ضرستنـا لن نــبدل بشـدة اليأس لينا
واذا مارحـى الحروب استدارت نـحن كنا اقـطابها الـثابتينا

وجرت في العقد الثاني من القرن العشرين اتصالات بين اشراف مكة واطراف عراقية ، بهدف التشاور وتنسيق المواقف تمهيداً لاعلان الثورة والتخلص من سيطرة العثمانيين . ويبدو من البرقية التي أرسلها الشاعر جعفر الحلي الى أحد اولئك الاشراف ويدعى (محمد) ، ان هناك صلات طيبة وودية ، وتفاهم مسبق بخصوص مدى التاييد الذي سوف يلقاه حال الشروع باعلان الثورة ضد الاتراك ، ومما ورد في تلك البرقية[123] :

انشر لواك مــؤيدا" منصورا حَيا الالـه لواءك المنشـورا
واقصد بخيلك يمنة أو يسـرة الله جارك لاتـرى محذورا
ياوارث العلـــماء من آبائه مازال ذكرك بيننا منشـورا

واوضحت بعض الدراسات ان الوجيه والاديب جعفر الحلي ، كان موضع ثقة بالنسبة لأشراف مكة ، لاتصاله المستمر بهم ، حتى أقحموه ميدان السياسة ومفاتحته بإعلان الثورة ضد العثمانيين[124] . كما أيَد الشاعر الكبير محمد مهدي البصير ، قيام دولة عربية مستقلة بقيادة الشريف حسين ، واعتقد ان قيام مثل هذه الدولة يعيد الى الاذهان النصر المؤزر الذي تحقق للمسلمين في معركة بدر ، حيث قال[125]:

يادار جلالـــة القـرآن بشراك هذا يوم بدر الثاني
عقد الحسين عليك الوية الهدى فلذالك حلَ معاقد التيجـان

مما تقدم يتضح ان السياسة الخاطئة التي انتهجها الاتحاديون ، ايقظت الشعور القومي لدى العرب ، وما الاتصالات التي جرت بين زعماء الحلة وزعماء البيت الهاشمي في مكة ، الاّ دليل واضح على نضج الوعي السياسي لدى النخبة المتعلمة من ابناء الحلة ، والذي تبلور في معارك التصدي ضد القوات البريطانية التي احتلت جنوب العراق عام 1914.

17- موقف أبناء الحلة من دخول القوات البريطانية الى العراق عام 1914:

---

[120]- مجيد : الشعر في الحلة ، ص187.
[121]- الوائلي : المصدر السابق ، ص258.
[122]- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ، ق1 ، ص44 ، البصير : نهضة العراق الادبية ، ص344-345.

[123]- انظر مجيد : الشعر في الحلة ، ص154- 155 .
[124]- البصير : نهضة العراق ، ص163.
[125]- حسن ، منعم حميد : البصير الشاعرا" ، (بغداد ، 1980) ، ص20.

حينما إندلعت نيران الحرب العالمية الاولى في الثالث من آب 1914 ، ادركت الحكومة البريطانية الاهمية الستراتيجية للعراق ، وبخاصة القسم الجنوبي منه بالنسبة لعملياتها الحربية ، لذا سارعت بوضع الخطط العسكرية لاحتلاله ، وباشرت عملياً بانزال قواتها في الفاو ، ثم استولت على البصرة في السابع عشر من تشرين الثاني كخطوة أولية لتطوير هجماتها باتجاه المدن العراقية الاخرى ، تمهيداً لطرد العثمانيين من عموم العراق[126] ، وازاء التطورات العسكرية والسياسية المتسارعة ، أطلقت الحكومة العثمانية دعوات الاستغاثة والأستنجاد ، باثارة الحماس في نفوس العراقيين من خلال تفعيل العامل الديني وتوظيفه باتجاه حشد كافة الأمكانات لمقاومة الانكليز ، باستصدار فتاوى الجهاد من علماء المسلمين[127] . إبتدأت السلطة العثمانية إجراءاتها التعبوية في مدن العراق كافة ، تمهيداً لأعلان التعبئة العامة وخوض الحرب . وتم الصاق اعلانات على الجدران في الاماكن العامة ، رسم فيها صورة مدفع وبندقية ، كتبت تحتها عبارة عثمانية ((سفر برلك وار عسكر اولاتلر سلاح باشنة)) ، وتعني ((ان النفير العام قد أعلن وعلى الجنود ان يكونوا على أهبة الاستعداد بأسلحتهم))[128] ، وقد شهدت الحلة في أواخر تشرين الثاني 1914 مؤتمراً أو تجمعاً شعبياً كبيراً في (جامع أبو حواض) ، دعا اليه زعيم الحلة الديني السيد محمد علي القزويني وقائمقام الحلة آنذاك رفعت بك ، بقصد توضيح أبعاد المخطط البريطاني الرامي الى احتلال العراق . وضرورة اضطلاع رجال الدين وشيوخ العشائر العربية بدورهم الوطني لمقاومة ذلك المخطط . وحضر التجمع جمع غفير من ابناء الحلة وأعيانها ، الذين استجابوا لنداء السيد القزويني بالدعوة للجهاد ومؤازرة القوات العثمانية في تصديها للانكليز[129] . كما لقي نداء السيد القزويني تاييداً واسعا لدى عموم العشائر في الفرات الاوسط ، واتفقت آراء زعماء تلك العشائر على مقاتلة البريطانيين في ثلاث محاور[130] هي :

- محور الشعيبة : اسندت مهمته الى عشائر النجف وكربلاء والسماوة .
- محور العزيزية : اوكلت مهمته الى متطوعي الحلة والمناطق المجاورة لها من عشائر الجبور ، البوسلطان ، بني حسن ، خفاجة ، السعيد واليسار .
- محور العمارة ـ الكارون : خصصت مهمته الى عشائر الشامية وآل فتله والبدير والبوهدله وعشيرة جليحة .

وعللت احدى الدراسات التحول السياسي الذي شهده العراق وقتذاك ، بان العراقيين وهم في قمة الصراع مع الحكم العثماني ، واذا بهم يفاجئون بغزو جديد ، فكان عليهم مواجهة الشرين في آن واحد [131]، كما اشارت بعض المصادر أنهم قد وقعوا بين ((سيءٍ وأسوأ)) لذا اختاروا التصدي للانكليز الذين لاتربطهم مع العرب اية رابطة دينية أو تاريخية[132]، ويبدو ممكنا القول بان محدودية الامكانات العسكرية ، فضلاً عن العامل الديني المتمثل بالرابطة الاسلامية قد حفزت العراقيين على الوقوف الى جانب العثمانيين ضد بريطانيا .

ولم يقتصر دور أهالي الحلة على رفد جبهات القتال بالمقاتلين حسب ، إنما ساهموا بدعم المجهود الحربي العثماني مادياً أيضاً . فعلى الرغم من المواقف المتشددة لابناء العشائر بخصوص مسألة الضرائب في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب ، الأ ان المستجدات الميدانية التي حصلت عام 1914 غيرت في بعض تلك المواقف لمواجهة ((الغزاة الكفار الجدد)) . ففي عام 1915 أوعزت الحكومة العثمانية الى (نور الدين باشا) قائد القوات العثمانية في العراق بالتحرك السلمي على عشائر الحلة لاستحصال الضرائب المتراكمة عن السنوات 1909- 1914 من اجل ادامة المجهود الحربي . فاجتمع بزعماء تلك العشائر وابلغهم بتوجيهات حكومة اسطنبول في حث ابناء العشائر على مؤازرة الدولة وهي تخوض غمار الحرب ، وابداء التعاون التام في الاستجابة لطلبها بدفع مبالغ الضرائب المترتبة عليهم . ويبدو أن مهمة القائد العثماني قد تكللت بالنجاح ، إذ استجابت العشائر لنداء الحكومة اعتقاداً بان ذلك سوف يساهم بتعزيز قدرات الجيش العثماني في حربه ضد جيوش الانكليز. واشار الشيخ عبود الهيمص في مذكراته قائلاً[133]: ((ان نوري الدين باشا بعث الى والدي الهيمص والى الشيخ عداي الجريان ، واجتمع بهما ، وطلب منهما القيام بهذه المهمة اعتماداً على مركزهما

126- العزاوي : المصدر السابق ، 8/ ص261.
127- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ، ق2 ، ص706.
128- الوردي : المصدر السابق ، ج2، ص81.
129- الموح : مذكرات الموح الحاج صلال الفاضل من رجال ثورة العشرين ، (بغداد ، 1986) ،ص18.
130- سلمان ، كامل : حرب العراق 1914-1915، مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد (10) ، ص33- 34.

131- مجيد : الشعر في الحلة ، ص183 .
132- آل فرعون ، فريق المزهر : الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920 ونتائجها،(بغداد ، 1952) ، ص 16.
133- الرقيب : العدد 16 ،1 ربيع الآخرة 1327هـ .

وسمعتهما ونفوذهما لدى الاوساط كافة . وقد استجاب والدي والشيخ عداي الجريان لطلب القائد العثماني ، فقاموا بالمهمة خير قيام ، وأخذوا معهم قوة تنفيذية من حوالي (400) فارس مسلح . وقد رافقهم في هذه الحملة ، وأجبر الفلاحين المتمردين عن دفع الضرائب المستحقة عليهم الى الدولة ، وقد تمت هذه العملية بنجاح تام))[134] . (2) وكان لادباء الحلة وشعرائها دوراً بارزاً في التعبئة العامة للحرب ، وفي شحذ الهمم للقتال الى جانب العثمانيين ، بل ان اشعارهم وأهازيجهم التي القوها في جبهات القتال كان لها وقعها المؤثر في النفوس ، فتوحدت الصفوف ، وتناست بعض العشائر خلافاتها - في هذه المرحلة التاريخية الحرجة - للذود عن حياض الوطن ، الذي يسمو على أي اعتبار آخر . وأنطلقت ألسنة شعراء الحلة منددة ومحذرة من الابتلاء الجديد ، اذ صدح صوت السيد محمد القزويني مدوياً حينما زحفت حشود متطوعي العشائر لملاقاة الانكليز في الشعيبة قائلاً [135]:

نحن بني العرب ليوث الوغى دين الهدى فينا قوي عزيز
لابـد أن نزحف في جـحفل نبيـد فيه جحفـل الانكليز

كما اشاد الشاعر الكبير محمد مهدي البصير في أشعار امتدح بها القائد العثماني انور باشا وزير الحربية العثماني آنذاك ، مثمناً شجاعته في التصدي للجيوش البريطانية قائلاً [136]:

عقد الالـه لواك فهو مظـفر بالنصر مابين المماليك ينشر

اما شاعر الفيحاء عبد المطلب الحلي فقد نظر الى العلاقة مابين العرب والعثمانيين في هذه المرحلة من زاوية الرابطة الاسلامية ، مؤكدا" على مبدأ الاخوة الاسلامية في مناصرة العرب لاخوانهم العثمانيين لمواجهة الموجة الاستعمارية الجديدة من اعداء الدين ، فكتب قائلاً [137] :

اقول للعرب ان الترك اخوانكم والدين اما" لكم أضحى معاً وأبا
هم الذين اقامو الدين في قضب في حدها عاد حبل الكفر منقبضا

ورغم مبادرة اهالي الحلة بتقديم الدعم البشري والمادي خلال الاشهر الاولى من اندلاع الحرب ، غير ان اخفاق القادة الاتراك في ادارة المعارك بسبب سوء التخطيط العسكري ، قد ولدَ لديهم - كبقية العراقيين- احباطات متتالية خاصة بعد الهزائم التي لحقت بالجيش العثماني في معركة الشعيبة ، وتخاذل القائد سليمان العسكري فيها .اذ نتج عنها خسائر بشرية ومادية كبيرة ليس من السهولة تعويضها والحرب مازالت في بدايتها - فضلاً عن طريقة التجنيد السيئة التي تمت بزج مئات الشباب الحليين في اتون الحرب ، دون تلقيهم التدريبات الاساسية ، وارسالهم الى جبهات قتالية خارج العراق ، حيث كانت تنتظرهم أهوال القتل والاسر والجوع [138] ، ولكن سرعان ماتكشفت إفرازات الحرب في الحلة بعد مدة قصيرة من اندلاعها ، حيث ضعفت السلطة العثمانية المحلية الى درجة انعدامها احياناً . الامر الذي أوجد حالة من الفوضى العامة . فكثرت حالات السلب والنهب وانعدم الامن بسبب تدني المستوي المعاشي للسكان ، حتى أن الدوائر الرسمية بما فيها ثكنة الحامية العسكرية لم تنجو من عمليات السطو وسرقة موجوداتها من أثاث واسلحة وذخائر ومؤن ، مما اضطر الحكومة العثمانية الى الاستنجاد ببعض الشخصيات المؤثرة في المجتمع الحلي لاسترجاع ماتم نهبه ، ومنهم شيخ البوسلطان الذي تمكن بالتعاون مع بقية شيوخ الحلة من إستعادة كميات كبيرة من مختلف المواد المسروقة . بعد ان شكل قوة من أبناء العشائر قوامها (3000) مسلحاً ، قامت بتعقب الاشخاص الذين خططوا ونفذوا عمليات السلب والنهب[139] ، ومما زاد الاحوال العامة في الحلة سوءً هو الفتور في اندفاعية الشباب الحلي لنداء الجهاد ، وعزوفهم عن الالتحاق بتشكيلات الجيش العثماني ، بسبب عدم ثقتهم بالقادة الاتراك بعد ان اتضح للجميع ضعف استعدادهم للحرب ، بل وعدم اكتراثهم بمصير آلالاف المجندين ، ومعاناتهم جراء نقص الأغذية والاعتدة ورداءة السلاح، وازاء ذلك صدرت الاوامر الى الجندرمة المحلية للقيام بحملة واسعة هدفها تعقب الحليين الذين فروا من الخدمة العسكرية . فتمت مداهمة الاحياء والاسواق والقرى المحيطة بالحلة ، بطرق استفزت مشاعر الاهالي واثارت سخطهم . فعند القاء القبض على احد المطلوبين كان امامه خيارين ، اما بتقديم الرشوة حالاً أو التسفير الى جبهات القتال، واذا امتنع عن ذلك أو حاول الهرب ، تطلق عليه النار ويردى قتيلاً ، وفقاً للصلاحيات التي

---

[134]- الهيمص ، الشيخ عبود : ذكريات وخواطر عن احداث عراقية في الماضي القريب ، (بغداد ، 1989) ، ص22.
[135]- اليعقوبي : المصدر السابق ، ج3 ، ق2 ، ص7.
[136]- حميد : المصدر السابق ، 3/ ص22.
[137]- الخاقاني : المصدر السابق ، 3/ ص209 .
[138]- الدجيلي ، كاظم : احداث ثورة العشرين كما يراها شاهد عيان ، (بغداد ، 1973) ، ص34.
[139]- الهيمص : المصدر السابق ، ص22.

زودت بها قوات الجندرمة من قبل الحكومة المركزية . وذكر الشيخ يوسف كركوش الحلي معلقاً على ذلك بقوله : ((كنت يوماً في بستان يعود لاخوالي ، وكان احدهم فاراً من الجبهة ، فلما أحس بمجيء الجندرمة انسل من بيننا ، فاطلقت الجندرمة العيارات النارية على غير هدى ، فلم يراعوا وجود الفلاحين وبعض الاهالي من نساء واطفال وشيوخ ، وكان هذا العمل استهتاراً وبؤساً وشقاء لاهل الحلة))[140]، وأوضحت (المس بيل) انه بسبب ظروف الحرب وقساوتها ساد الاعتقاد ان لا أمل بعودة المجندين الى بلادهم ، الامر الذي انعكس على ازديـاد اعداد الذين هربوا من الخدمـة في الجيش العثماني[141]، كما أشار الشيخ يوسف الحلي الى حالة الانكسار النفسي التي اعترت العوائل الحليَة جراء تزايد اعداد القتلى والمفقودين ، وما نجم عن ذلك من نتائج اجتماعية حيث ((كثرت الارامل اللواتي لم يعرفن شيئاً عن ازواجهن ، وحينما يأسن من رجوعهم تزوجن ، ولكن بعد مدة طويلةعادهؤلاء،فمنهن من فارقت زوجها الثاني ورجعت الى الأول بحسب الشريعة الاسلامية))[142] ، ولدت سياسة الملاحقة والاكراه في جمع تبرعات الحرب ، تذمراً شديداً لدى الرأي العام في الحلة ، اذ بات الحليون على قناعة تامة بان لاجدوى من مؤازرة العثمانيين في تلك الحرب ، بعد أن إتضح ضعفهم اولاً ، وبانت اهدافهم التي ليس فيها مصلحة للعرب ثانياً . فضلاً عن استمرار السلطة العثمانية بسياستها الخاطئة وغير المتوازنة تجاه الشعوب المنضوية تحت سيطرتها ، في ظرف عصيب أحوج ماتكون فيه الى دعم تلك الشعوب وبخاصة الشعب العربي . ونتيجة لما تقدم فقد اعلن اهالي الحلة مساندتهم لانتفاضة النجف ضد الاتراك في الثامن من آذار 1915. وابدوا استعدادهم للتطوع والقتال الى جانب النجفيين[143]، وفي خطوة تالية مماثلة أعلن أهالي كربلاء انتفاضتهم ضد العثمانيين في السابع والعشرين من حزيران ، تبعتها انتفاضة الحلة في العشرين من آب 1915 .

18- انتفاضة الحلة 1915- 1916:

كانت المدن العراقية الرئيسة تتحين الفرصة المناسبة للأنتفاض ضد السلطات العثمانية المحلية ، وذلك بعد مدة ليست بالطويلة من إندلاع الحرب العالمية الاولى . وقد إستغلت مدن النجف وكربلاء والحلة الظروف القائمة آنذاك ، فشهدت انتفاضات شعبية واسعة ساهمت في زعزعة الموقف العثماني في الفرات الاوسط ، وزادته سوءا" ، ويمـكن تفسير ذلك بسببين هما :

1. انشغال العثمانيين بمقاتلة الانكليز على جهة نهر دجلة ، مما إضطرهم الى سحب الافواج المقاتلة التابعة للحاميات العسكرية في مدن الفرات الاوسط ((فحصل بذلك فراغ نسبي في تلك المنطقة))[144]، الامر الذي شجع سكان المدن المذكورة على تحدي السلطة العثمانية .

2. كانت النجف اولى المدن التي تحدت العثمانيين في الثامن من آذار 1915 ، فكان ذلك ايذانا باندلاع انتفاضة شاملة امتدت الى كربلاء والحلة بتأثير من القيادات الوطنية والدينية [145].

أولى عدد من الباحثين انتفاضة الحلة عام 1915 وما تلاها من احداث دامية عام 1916 اهتماماً خاصاً ، لفضاعة مارتكبه العثمانيون من اعمال استباحوا خلالها المدينة ونكّلوا بسكانها ، حيث ظلت تلك الاحداث عالقة في ذاكرة الحليين حتى الوقت الحاضر. وقد أورد أولئك الباحثون آراء عديدة عن الشرارة التي أوقدت الانتفاضة ، نذكر منها:

الرأي الاول : يرى بان إصرار عشائر الحلة على الامتناع عن دفع الضرائب قد اغاض السلطة العثمانية ، مما أوقد فتيل الانتفاضة عام 1915[146] .

الرأي الثاني : يشير الى ان حالة الفوضى والارتباك التي حلت بالادارة والجندرمة العثمانية في النجف ، شجعت الحليين على اغتنام الفرصة والقيام بعمل مماثل لطرد العناصر التركية من مدينتهم [147]، وهذا ما اكده الدكتور علي الوردي بقوله : ((ان نبأ استلام النجفيين زمام الامور في ادارة النجف ، كان مشجعاً لاهل الحلة

140- للتفاصيل : انظر الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص 161 - 165.

141- بيل ، المس : فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت ، 1971)، ص97.

142- الحلي :المصدر السابق ، 1/ص116.

143- الجابري ، ستار جبار : سعد صالح ودوره السياسي في العراق ، رسالة ماجستير ـ غير منشورة ـ كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة ، بغداد (1996) ، ص17 ، بيل : المصدر السابق ، ص95.

144- الوردي : المصدر السابق ، 4/ ص187.

145- الجابري ، ستار جبار : المصدر السابق ، ص17.

146- الواعظ ، مصطفى : المصدرالسابق ، ص95.

147- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص163.

الثورة ضد الحكومة ، فثاروا بعد ثلاثة أشهر من السنة نفسها من انتفاضة النجف ، وشكلوا حكومة من بينهم))[148] .

الرأي الثالث : ويفسر قيام الانتفاضة بمقتل احد العناصر التركية من قوة الجندرمة المحلية على يد أحد الحليين ، اثر قيام تلك القوة بملاحقة الهاربين الذين رفضوا الالتحاق بالجيش العثماني . ولما أخفقت السلطة المحلية في القاء القبض على القاتل ، لجأت الى ممارسات استفزازية وأساءت التعامل مع سكان المدينة ، حتى تطور الامر الى تبادل اطلاق النار بين الاهالي وافراد الحامية العسكرية[149].واثر المصادمات المسلحة التي شهدتها الحلة في العشرين من آب 1915 ، اتخذ عدد من رجال الدين والاعيان قراراً بطرد القائمقام مصطفى بك الذي فرَ الى بغداد . كما منعوا موظفي الادارة المحلية من الوصول الى دوائرهم ، رداً على التجاوزات التي قامت بها قوات الجندرمة وافراد الحامية العسكرية ضد الأهالي . لقد اثار هذا الفعل الجريء سخط الحكومة العثمانية ، لكنها في واقع الامر لم يعد بمقدورها القيام برد فعل عسكري مباشر وقتذاك بسبب سوء الموقف العسكري العثماني في العراق عامة والفرات الاوسط على وجه الخصوص . واكتفت بطلب التفاوض مع زعماء الحلة بعودة الموظفين الى دوائرهم . وقد أبدى الحليون موافقتهم على الطلب العثماني شريطة عدم تدخل هؤلاء الموظفين بما يقررونه من أمور ضرورية خاصة بمدينتهم. وبخلافه سوف يلجأون الى طردهم جميعاً كما فعلوا مع القائمقام[150]، ويبدو ان الحكومة العثمانية قد شعرت بالاهانة ازاء قيام الحليين بطرد القائمقام الذي ((أمطر مرجعه في الاستانة بوابل من البرقيات الشديدة طالبا الاقتصاص له من اهالي الحلة الذين أهانوا الدولة بشخصه))[151] .

كما ساورتها الشكوك وانتابها القلق من فقدانها السيطرة على غرار ماحصل في النجف . لذا سارعت بأصدار الأوامر الى العقيد عاكف بك ، قائد القوات العثمانية في العراق بالتحرك الى الحلة لاستعادة هيبة الحكومة (فوراً) . فدخل عاكف بقواته وأمر باستدعاء رؤساء العشائر ومختاري المحلات وأمهلهم مدة (24) ساعة فقط ، بيد ان الحليين لم يستجيبوا لذلك . ودارت معركة دامية في السابع والعشرين من آب 1915 استمرت يومين تكبدت فيها القوات العثمانية خسائر جسيمة بلغت نحو مئة قتيل وعدد كبير من الجرحى[152]، وقد استثمر الحليون حالة الانكسار العسكري والنفسي لدى الاتراك ، وقاموا بملاحقة جيش عاكف الذي اضطر الى التراجع بعد ان تمت محاصرته من جميع الجهات . لذا لم يكن امام العقيد عاكف للخروج من هذا المأزق الاّ بطلب التفاوض مع بعض الشخصيات المؤثرة ، فتم الاتصال بالسيد محمد القزويني وعرض عليه الانسحاب مقبل فك الحصارعن القطعات العسكرية المحاصرة . غير ان السيد القزويني لم يبت في ذلك العرض الأ بعد مشاورات أجراها مع بقية اعيان الحلة ، حيث تمت الموافقة على فكرة القائد التركي، ويبدو ان هكذا قرار قد استند الى الحكمة في ظل انعدام التكافؤ في القوة ، إذ أدرك زعماء الحلة بان السلطة العثمانية سوف ترسل مزيداً من التعزيزات لفك الحصار ، مما يعرض المدينة وسكناها لمزيد من الدمار والاذى . وقد تطرق الشيخ يوسف كركوش الحلي بوصفه شاهد عيان الى تلك الاحداث قائلاً : ((اني مررت عصر ذلك اليوم في الشارع العام الذي يخترق الحلة من باب النجف الى شمالها ... فشاهدت الناس في حيرة واضطراب وهم مدججون بالسلاح ، فلما جَن الليل ونام وهدأت الاصوات ، فرق عاكف عسكره في طرقات الحلة وسورها ودوائر الحكومة ، وجعل بعضا من الجنود على منارة الجامع الكبير لارتفاعها على دور البلدة ... ولما أصبح الصباح صادف أن خرجت لقضاء بعض الشؤون . فلما انتهيت الى رأس الدرب الذي فيه دارنا ، رأيت جنوداً من الاتراك راكبين خيولهم ، مدججين بالسلاح ، فلم يتعرضوا بي لأني كنت يومئذ طفلاً صغيراً ، ومشيت في طريقي حتى وصلت الشارع العام الذي ينتهي بباب النجف فرأيت الجنود على طول ذلك الشارع ، وهم يتكلمون بلسانهم التركي ، وعند ذلك ذعرت ورجعت الى دارنا ، وأخبرت والدي بالذي رأيت ، فوضع يده على جبهته وقال : ((لقد هلكنا)) . وبينما نحن في هذا ومثله ، اذ سمعنا طلقة نارية دوت في سوق المنتخب ، وماهي الاّ ثواني حتى صار أزيز الرصاص يشق الآذان ، ونشب القتال بين اهل الحلة وعسكر عاكف المنتشر في الطرقات . وكان الخبر قد وصل الى الاعراب ، فتهيأوا للزحف على الحلة كي ينهبوا ويسلبوا ، فصار هجومهم على النقطة التي كانت بالقرب من تل الرماد الذي يعرف الآن بـ الجبل . فقتل بعض الاعراب من كان في النقطة ، وبعض آلاف من

148- الوردي : المصدر السابق ، 4/ ص196.
149- المصدر نفسه ، 4/ ص197- 199.
150- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص127.
151- بيل : المصدر السابق ، حاشية ص98.
152- الوردي : المصدر السابق ، 4/ص194.

الجند فروا هاربين . اذ رأوا ان لاطاقة لهم على محاربة اهل الحلة والاعراب ، وقتل اكثرهم اثناء فرارهم ، وانتشرت جثثهم على طول سوق العلاوي والاسواق الاخرى المتصلة الى القشلة . ثم دخل الأعراب الحلة ينهبون ويسلبون اسلحة العسكر وملابسه ، واشتركوا مع اهل الحلة في مكافحة العسكر ، وقد قضوا على اكثريته ، حيث كان متفرقاً في انحاء البلد . ولم تستعصي الأ النقطة التي كانت في باب النجف ، فانها بقيت الى مابعد الزوال ، وقد كافحها اهل الحلة ، وبالأخص اهل الجامعين مكافحة عنيفة ... وقد أبدى الجنود في هذه النقطة عناداً شديداً ، وقد اعطاهم اهل الحلة الامان ان سَلموا ، وكلموهم من اماكن قريبة بحيث يسمعون كلامهم بان لافائدة من المقاومة ... وأخيراً إقتحم اهل الحلة الجامعين بطريقة حربية ، وقتلوا من كان فيها ، ودفنوهم بجوار السور ... وفي مساء هذا اليوم جاءت الى الحلة نجدة عسكرية من السدة ، فلما وصلت الى مشهد الشمس احاطت القبائل بها ، والحليون يرقبون الليل للهجوم عليها فخاف عاكف بك العاقبة وطلب السلم من اهل الحلة ، وقد توصل الى اتفاق بين الطرفين بتوسط من السيد محمد علي القزويني على أن تخلو الحلة من العساكر فعلاً ...))[153] وإثر النجاحات العسكرية التي حققها العثمانيون ضد القوات البريطانية في جبهة الكوت عـام 1916، وجدت الحكومة العثمانية، ان الفرصة باتت سانحة للانتقام من اهالي الحلة، الذين شهروا السلاح بوجهها وأهانوها، وقد ذكر محمد امين العمري في كتابة الموسوم بـ (تاريخ حرب العراق) ان السلطة العثمانية كانت مصممة على تنفيذ وعيدها ضد الحليين باختلاق شتى الذرائع ، حيث طلبت ((محكمة الديوانية بعض المتهمين من اهالي الحلة لاجراء محاكمتهم ، وما أن استاق جنود الدرك هؤلاء ، قام ذووهم مع البعض من اعوانهم ، فهاجموا الدرك وانقذوا المرقومين ، وقام البعض بالهجوم على المستودعات وخط المواصلات ، وحَقروا بعض الضباط والموظفين والمدنيين ... فأبرق والي بغداد خليل باشا ... الى العقيد عاكف بك أمر لواء الخيالة في العراق الذي كان حينئذٍ في بغداد ، ان يقوم بقيادة التشكيل التي تؤلف بعنوان فرقة الفرات))[154] .

أصدر خليل باشا قائد الفيلق السادس العثماني في العراق أوامره في الثامن من تشرين الثاني 1916، بتشكيل قوة تألفت من مختلف الاصناف العسكرية اطلق عليها (فرقة الفرات)[155]، وكانت تضم ((الكردوس 156 ، سرية رشاشات فوج من بغداد ، فوج من آسيا ، أفراد من الخيالة السادسة ، الفوج الثاني من لواء الصحراء التاسع والاربعين ، فصيل مدفعية الصحراء سريعة الرمي ، مفرزة تلغراف ، مفرزة استحكام ، وبهذا يكون المجموع 237 سيفا ، 4700 جنديا ، 8 مدفعا ، 4 رشاشات ، 140 حيوانا)) فضلاً عن زورق حربي ، فصيل جسارة ، سرية صحية وطائرة واحدة [156]، وبعد ان استكملت فرقة الفرات تحشدها في الثاني عشر من تشرين الثاني بمنطقة المسيب ، أصدرت قيادة الفيلق السادس أمراً بتكليف العقيد عاكف بك آمر لواء الخيالة لقيادة تلك الفرقة ، وفي الثالث عشر منه قرر العقيد عاكف التحرك من المسيب الى منطقة سدة الهندية ، وفق خطة عسكرية إقتضت الشروع اولاً ((بتصليح الطريق المؤدي الى الحلة من ضفة الشط اليمنى))، وفي صبيحة اليوم التالي استأنفت الفرقة مسيرتها نحو الحلة بعد أن ((أسست لها مستودع أرزاق في المهناوية تحت حماية فوج آسيا ، وساقت الزورق الحربي وفصيل مشاة في الشخاتير من شط الحلة كميسرة للفرقة على ان يقضوا الليلة في المهناوية ، وان يستمروا على سيرهم صباح اليوم التالي ، ويصلون الى الحلة ، فيقفون امام دار الحكومة ويمنعون عبور الاهالي من كلا ضفتي النهر))[157] ، وفي صبيحة الرابع عشر من تشرين الثاني وصل القسم الاكبر من الفرقة الى (مقاطعة الخواص)على بعد ستة أميال من بلدة الحلة . ثم قامت كتيبة عسكرية في الساعة (700) من صبيحة اليوم التالي بفرض السيطرة التامة على مسجد (مشهد الشمس) والمنطقة المحيطة به تمهيداً لاجتياح المدينة[158]، وقبيل بدء الهجوم لجأ العقيد عاكف الى اسلوب المخادعة ، اذ أرسل الى وجهاء الحلة طالباً الاجتماع بهم ، فأخبرهم انه يروم التوجه نحو الجنوب ، وعلى الحليين عدم إثارة المشاكل باعتراضهم طريق الجيش ، موضحاً لهم انه لاينوي شراً بالمدينة[159] . (3) كما طلب من أهالي الحلة الخروج لأستقباله كي يثبتوا حسن نواياهم . فلما خرج ((اكثر اهل المدينة ، احاط بهم بعض الجند الى ان حضر القائد ... وأبدوا الطاعة ، وكان خروجهم واستقبالهم الى نهر التاجية . ثم سأل القائد عن بعض الرؤساء الذين لم يحضروا ، فقيل انهم غائبون . ثم أمران ينقسم الناس حسب محلاتهم ، فانقسموا خمسة أقسام . فسأل عن اهالي باقي المحلات ، فاجابوا بان لانعلم سبب تأخيرهم . وقد اوقفوا في المحل المذكور (التاجية) اربع

153- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص128-129.
154- العمري ، محمد امين : تاريخ حرب العراق ، ج1 (بغداد ، 1935) ، ص249- 250.
155- مجلة البلاغ : العدد 8 ، (1975) ، ص8.
156- العمري : المصدر السابق ، ج1، ص49.
157- العمري : المصدر السابق : 1/ ص249.
158- مجلة البلاغ : العدد 8 ، ص11 ، العمري : المصدرالسابق ، 1/ ص251 .
159- الحلي : المصدر السابق ، 1/ ص 168 ، اليعقوبي . المصدرالسابق ، ج3 ق2 ، ص27.

ساعات))[160]. ومما يجدر ذكره ان وجهاء الحلة قد إنقسموا مابين مؤيد ومعارض للقاء العقيد عاكف ، بيد ان وجهة نظر السيد محمد القزويني ـ وهو أبرزهم ـ قضت بتشكيل وفد لمقابلة القائد العثماني ومعرفة مايريد قوله فأيده عدد كبير منهم ، وعندما ((اجتمع الحليون على اختلاف طبقاتهم ، خطب فيهم آل القزويني خطاباً الجأوهم فيه الى الاخلاد الى الطاعة ، واظهار شعار الطاعة للحكومة ، فألفوا موكباً عظيماً لاياتي عليه الحصر ، وقصدوا المعسكر بحالة مرضية وآل القزويني في طليعتهم . ولما وصلوا المعسكر تكلم عميدهم بما يقتضي ، واعتذروا عما فات من الجنايات ، فلم يجب القائد ، وبهت الموكب كأنهم شعروا بالخطر ، وقد أحاط الجند بكل افراد الموكب إحاطة تامة ، ومنعوا من العودة الى المدينة . وبعد برهة جرى القبض على الكبار والأعيان ، واطلق سراح الباقي فاضطرب القوم ... فنهض أحد الأعيان ولعله السيد محمد علي القزويني وكلم القائد ، فأجابه(العقيد عاكف) : إن أهل الحلة قوم متمردون على الحكومة ، وقد عرفوا قبل اليوم بانهم عصاة جناة ... وانَا نريد الدخول الى المدينة وضبطها ، وتخريب ملاجئ الأشقياء ، وقد أبقيتكم ودائع عندي ، حتى ندرك مانريد ، فان تعرض المفسدون للجنود ، فما يجري عليهم يجري عليكم بشدة))[161] . أعلن العقيد عاكف على الفور إنه قرر الاحتفاظ بالوجهاء كرهائن ((وان الجيش سيدخل الحلة ، فاذا لقي اية مقاومة منها ، فانهم سيعدمون كلهم)) . مشدداً تحذيره انه ((تلقى أمراً من القائد العام في العراق (المشير خليل باشا) بمحو مدينة الحلة من الوجود))[162] ، الأمر الذي أثار الذعر بين سكان المدينة، وطلب القائد عاكف من أهالي الحلة في صبيحة الخامس عشر من تشرين الثاني 1916 ، إخلاء بيوتهم ومحلاتهم والتجمع عند(مشهد الشمس) . كما أمر بهدم جميع الأستحضارات والأستحكامات التي أقامها الحليون من خنادق وترتيبات دفاعية . غير أن سكان بعض المحلات لم يستجيبوا لذلك ، فاستشاط عاكف غضباً ، وأمر الذين جاءوا الى مشهد الشمس بالعودة الى مساكنهم ، وحذرهم من الخروج الى الشوارع ، لأن الأوامر قد صدرت للجيش باستئناف العمليات العسكرية بعد ظهر ذلك اليوم[163] ، وعند الساعة الواحدة ظهراً قامت المدفعية برشق قذائفها على المدينة ، مركزة على المحلات التي رفضت الأستجابة لنداء عاكف وهي :(الجامعين ، الطاق ، جبران والوردية). وفي الوقت ذاته ، وتعبيراً عن غضبه قرر العقيد عاكف إرسال ((سرية مجهزة بمعاول ومجارف وبقنابر يدوية من إحدى الطرق المنتهية الى الشط قرب الثكنة . وسرية مثلها من طريق آخر ، فجعل الجنود يفتحون أبواب الدور عنوة ويحتلونها ..... حتى أصبحت المدينة تحت قبضة الفرقة ..... وضربت المدفعية الهاربين من الشط الأيسر جنوباً))، كما صدرت الأوامر الى قائد الطائرة المساندة لفرقة الفرات بقصف بساتين شمال وجنوب محلة الوردية[164] ، وقد إستمرت عمليات القصف حتى يوم التاسع عشر من تشرين الثاني ، حيث أصدر العقيد عاكف تحذيراً شديد اللهجة الى الاهالي ، فأمرهم بتسليم مابحوزتهم من أسلحة خلال مدة لاتتجاوز أربع وعشرين ساعة فقط . كما أمر بأرسال مفارز عسكرية لتعقب الأشخاص المطلوبين للخدمة في الجيش ، انتشرت في أنحاء الحلة والقرى المحيطة بها ، فتمكنت تلك المفارز من القاء القبض على أعداد كبيرة من المطلوبين ، حيث تمت إحالتهم الى ((المجلس العسكري)) الذي ألّفه عاكف ، وصدرت أحكام سريعة باعدام قسم منهم ، بينما حكم على الباقين بالنفي والابعاد خارج العراق[165] . عاشت مدينة الحلة خلال المدة من (14-26 تشرين الثاني 1916) أياماً عصيبة ، إذ توقفت الحياة العامة فيها بسبب الحصار العسكري الذي فرضته قوات الجيش والجندرمة فضلاً عن عمليات القتل والاعتقال والنفي وهدم دورالاهالي والقصف المدفعي العشوائي . وفي السابع والعشرين منه أعلن العقيد عاكف انتهاء مهمة فرقة الفرات ، لأعتقاده أن الحلة ماعادت تمثل خطراً على السلطة العثمانية ، بعد ان لقن سكانها درساً قاسياً، وأصدرت قيادة الفيلق السادس في التاسع والعشرين منه بياناً ورد فيه : ((في حين ان الدولة مشغولة بمقارعة الأعداء في الخارج والنضال معهم ، عصى هؤلاء على الدولة وأجبروها على ماوقعوا من أعمال ، نهبوا أرزاق الجيش ولم يبالوا بالصدام العنيف مع العدو، وكان يفادي بنفسه في سوح القتال ، الأمر الذي دعا ان أصدر أمري في تأديب أهالي الحلة الذين ارتكبوا تلك الدناءات .... ووجهت مفرزة بقيادة عاكف بك قائمقام الخيالة ، وهذه متكونة من صنوف مختلفة .فسارت في 14 تشرين الثاني 1916 ، وهذه القوة أشغلت دار الحكومة والمباني والمؤسسات الأميرية . ولم يترك العصاة في هذه الحالة السلاح . ولا يزالون موقدين نيران الشر ، فأضطروا الى قصف محلاتهم وهي

160- مجلة البلاغ : العدد 8 ، ص11.
161- مجلة البلاغ : العدد8 ، ص8 - 9.
162- البلد : العدد 819 ، 3 شباط 1967 ، البلاغ : العدد 8 ، ص9.
163- البلاغ ، العدد 8 ، ص9.
164- العمري : المصدر السابق ، ج1، ص252 .
165- العمري : المصدر السابق، ج1، ص252 .

الجامعين والطاق وجبران ، فأشغلها الجيش ، وفي هذه الواقعة قتل (50) من العصاة ، وقبض على مائة ، وخربت مواطن (أكواخ) بعضهم ومن البساتين حاول العصاة الدخول الى البلدة فقتل الكثير منهم . وقتل أحد افراد الجندرمة الذي سلم سلاحه الى والده . وأن طائرتنا قصفت العصاة المتجمعين بين النخيل، وألقت عليهم القنابل وقتلت ثمانية منهم . وأن خيالتنا تعقبوا العصاة وقتلوا منهم ستة أشخاص... جمعت القوة أسلحة الأهلين ، واستمرت في تخريب بيوت العصاة وهم الذين قاموا بهذا الأمر ، وساقوا من رؤسائهم : محي أغا ، عبد الوهاب ، مهدي النقشبندي ، حاج أمين علوش ، صالح المهدي ، حاج علي شيخ حسن ، ملا ابراهيم ، مختار محلة جبران محمد الحاج سعيد وستة أشخاص آخرين كانوا نهبوا النقود و(17) شخصاً قتلوا صلباً هذا اليوم والتاديبات مستمرة، العشائر المجاورة مطيعة وهادئة))[166] .

موقع
قائد الفيلق السادس
خليل
23 محرم 1335هـ

وطبقاً للمعلومات التي ذكرتها البيانات العثمانية ، فان خسائر الحليين جراء العمليات العسكرية التي قامت بها فرقة الفرات والمعروفة محلياً بـ (دكّة عاكف) قد بلغت نحو (1300) قتيلاً ، فضلاً عن تنفيذ أحكام الأعدام بـ (126) رجلاً ، تم إعدامهم بناءً على أوامر أصدرها عاكف شخصياً . كما تم ترحيل حوالي (90) عائلة حلية ، بالأضافة الى حدوث خسائر كبيرة في الممتلكات ، حيث هدمت اكثر من (1500) داراً في مختلف محلات الحلة[167] . أما المصادر المحلية فقد ذكرت بأن خسائر العثمانيين بلغت نحو (36) جندياً بين قتيل وجريح . بينما أشرت خسائر الحليين أرقاماً مروعة بسبب عدم التكافؤ في القوة ، اذ بلغت نحو (1300) إصابة مابين قتيل وجريح ، ومصادرة اكثر من (3000) طن من الحبوب المخزونة في خانات الحلة . كما تجاوز الأمر الى نفي وابعاد نحو (271) شخصاً الى خارج العراق[168]فضلا ً عن تنفيذ احكام الاعدام شنقاً بـ (127) رجلاً ومنـهم : ((محمد صالح شريف ، الحاج امين علوش ، الحاج علي الشيخ حسن ، وهيب الشيخ حسن ، محي نور الدين ، سيفي أغا ، ملا عبود مع ولده ، الضابط ابراهيم فوزي ، الموظف عبد الوهاب بك وصادق الشيخ عبد الحسن))[169] .

مما تقدم يتضح أن الحملة العسكرية العثمانية على الحلة عام 1916 ، كانت لها أهدافاً ستراتيجية ، أبرزها :

1- محاولة إعادة فرض السيطرة المركزية على مدينة الحلة التي كانت في حالة عصيان متكرر من خلال اللجوء الى استخدام القوة المفرطة .

2- إرهاب سكان المدن العراقية التي شهرت السلاح بوجه الحكومة العثمانية ،لاسيما في النجف وكربلاء .

3- محاولة الحد من التوجهات المناهضة للسياسة العثمانية ، التي بانت بوادرها في اكثر مدن العراق.

4- محاولة تجميل صورة الموقف العثماني السيء والمتدهور في ساحة العمليات العسكرية بجنوب العراق .

لقد إتضحت هشاشة الموقف العثماني في أواخر تشرين الثاني 1916 ، إذ زحفت القوات البريطانية باتجاه شط الغراف ونجحت في عبوره بعد ان كبدت العثمانيين خسائر كبيرة . ورغم ذلك ، أبدى خليل باشا مكابرة جوفاء بتوعده سكان المناطق الثائرة بالويل والثبور على غرار ماحدث في الحلة ، ان هم تعرضوا لموظفي الحكومة وعساكرها ، فأصدر بياناً في الرابع من كانون الاول 1916 ، وأمر بتعميمه على جميع المدن العراقية ، جاء فيه[170] : (2) ((بعد أن أجرينا التأديبات للعصاة (في الحلة) الذين هم قابلوا إجراءات الحكومة ، تعرض بعض السرسرية للعسكر الذي أراد ان يتوجه الى الناصرية لاجل مقصد عسكري ، وهم سيلقون جزاءهم اللائق بهم . واما اهل النجف وكربلاء ، فأنّا نعد كأن لم تكن مصادماتهم التي وقعت في السنين السابقة ، ولانعاقب من كان يدخل منهم في تلك الوقعات ، ولا نجري بحقه حركة تأديبية أبداً . وقد بينت ذلك لوكلائهم الذين زاروني سابقاً . وبلغتهم أن تولي هذا عائد إلى عضو جميع القباحات السابقة . فمن اليوم وصاعداً ، كل من إشتغل بشغله من أهل القصبات والعشائر وحافظ صداقته إلى الدولة ، فأني أكرر قولي بأن لا أجري بحقه التأديبات القانونية ، ولا الحركات العسكرية ، الأ من تعرض للحكومة والعسكر، وتطور بطور يخالف حركاتهم من أهل القصبات

166- نقلاً عن العزاوي : المصدر السابق ، 8/ ص300 - 301 .
167- البلاغ : العدد 8 ، ص12 .
168- العمري : المصدر السابق ، 1/ ص253.

169- بيل : المصدر السابق ، حاشية ص99 .
170- نقلاً عن البلاغ : العدد 8 ، ص10-11 .

والعشائر ، فيعلم أنهم ليسوا لائقين للشفقة ، وإني أجازيهم بأشد صورة . فينبغي إعلان ذلك رسمياً بكل محل (مدينة) وقد أبلغنا ذلك الى قومندان فرقة الفرات ، ومتصرفي كربلاء والديوانية .

موقع
خليـل
قائد الجيش السـادس
4 كانون الاول 1916

ومن الجدير بالذكر أن العقيد عاكف ظل مرابطاً بجيشه في الحلة ، حتى قيام الانكليز بأحتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام 1917 ، حيث صدرت إليه الأوامر من مراجعه العليا بالأنسحاب الى إسطنبول عن طريق أعالي الفرات[171]، وقد أفرزت الأحداث التي شهدتها مدينة الحلة للمدة من 20 آب 1915 - 27 تشرين الثاني 1916 ، مؤشرات مهمة بينت بوضوح إضطلاع الحليين بدورهم الوطني في مواجهة تحديات لم يألفوها من قبل ، وذلك في ظل الصراع الجديد بين العثمانيين والبريطانيين ، منها :

1. وقوف أهالي الحلة صفاً واحداً في مواجهة الخطر الذي داهم مدينتهم ، حتى ان ابناء العشائر تناسوا خلافاتهم القائمة آنذاك ، من اجل الذود عن الفيحاء والدفاع عنها[172] . حظيت إنتفاضة الحلة بدعم شعبي واسع ، لاسيما من سكان المناطق المجاورة ، اذ اعلنت عشائر الفرات الاوسط دعمها المادي والمعنوي ، فضلا عن استعداد ابناءها للقتال الى جانب إخوانهم الحليين[173]، كانت الفضائع التي إرتكبها العثمانيون في الحلة ، حاضرة في التجمعات الشعبية المناهضة للسياسة العثمانية ، ففي تجمع عقده زعماء عشائر الفرات الاوسط في النجف الاشرف ، ندَد الشيخ مبدر آل فرعون-رئيس آل فتلة – بالتصرفات الهمجية والافعال الشنيعة للسلطة العثمانية ، مثمنا" في الوقت ذاته الوقفة الشجاعة لابناء الحلة ، وخطب قائلا": ((... انظروا الى مايفعله الاتراك بقضاء الحلة من قتل النفوس المحترمة ، وهتك الاعراض المصونة ، فو الله لبطن الارض خير من ظهرها إن ركنتم لهذه الافعال الهمجية ، وليعلم كل من ينتمي الى قحطان ، إن هذه الدولة تريد محوكم من البسيطة ... فيجب عليكم أيها السادة ان تتحدوا وتتعاضدوا ...)) [174].

واخيرا" لايمكن للباحث في (واقعة عاكف) ان يغفل دور الادب الحلي في دعم ومؤازرة تلك الانتفاضة الرائعة ، حتى ان الاشعار التي قيلت وقتذاك ، كانت توثيقا" تاريخيا" للفاجعة الاليمة التي تعرضت لها الحلة الفيحاء. وعلى سبيل المثال ، فقد صور الشاعر محمد علي اليعقوبي مانزل بالحلة من بلاء على يد العثمانيين قائلاً[175]:

وقفت على (فيحاء بابل) باكيـا كأني علـى اطلال بابـل واقـف
أسئلـها لكـن دمـعي سائـل عليـها وقلبي من لظى الوجد لاهـف
فقالت كأن لم تدر بالامس ماجنى على العرب حجاج العراقيين عاكف
فمن بين ماسـور يساق مكبـلا وبين شريد وهو في القـفر خـائف
ومنعطف فوق المشانـق شلـوه عليـه الايامـي الثاكلات عواطـف

19- الحلة في ظل سلطة الاحتلال البريطاني 1917-1920:

أولى البريطانيون الحلة اهتماما" خاصا" كما فعل العثمانيون من قبل، لأعتبارات، أهمها:

1- الأهمية الستراتيجية والعسكرية المرتبطة بالموقع الجغرافي المتميزللحلة وخاصة قربها من العاصمة بغداد ، ووقوعها في عقدة مواصلات نهرية تمتد شمالا" الى أعالي الفرات ، وتتجه جنوبا" نحو البصرة فالخليج العربي ، فضلا" عن شبكة مواصلات برية تربط الحلة بالعاصمة ومدن الفرات الاوسط . مما أسهم في تعزيز الموقف البريطاني في المنطقة الممتدة من بغداد وحتى السماوة جنوباً [176] .

171- بيل : المصدر السابق ، حاشية ص112.
172- اليعقوبي : المصدر السابق ، /ص7 ، مجيد : الشعر في الحلة ، ص185.
173- البازركان ، علي : الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، (بغداد ، 1991) ، ص8.
174- آل فرعون : المصدر السابق ، 1 / ص43 .

175- اليعقوبي ، محمد علي : ديوان اليعقوبي ، (النجف ، 1970) ، ص159 .
176- للتفاصيل انظر : كوتلوف ، ل.ن : ثورة العشرين التحررية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، (بيروت ، 1975) ، ص74 – 75 ، المهداوي ، د. علي هادي عباس : الحلة كما وصفها السواح الاجانب في العصر الحديث ، (الحلة ، 2005) ، ص60 – 75 .

2- الأهمية الأقتصادية المتمثلة بقدرة الحلة على تموين الجيوش البريطانية بجزء أساسي من الاحتياجات الغذائية كاالحبوب واللحوم[177]، حيث أصدرت الأدارة البريطانية في العراق عام 1917 تقريرا" رسميا" ضمنته أرقاما" عن القدرة التموينية للحلة من محاصيل زراعية وثروة حيوانية ، جاء فيه : ((الحلة من المدن الرئيسية ... تنتج القمح والشعير بغزارة ... فيها (120) مخزنا" كبيرا" لحفظ الحبوب والغلات الزراعية . وفي الظروف الاعتيادية يصدر منها اسبوعيا" وفقا" للتقديرات : (400) طنا" من القمح ، (600) طنا" من الشعير ، (100) طنا" من الرز ، (1000)ثورا" وبقرة ،(600) جاموسة ،(300) حصانا" ، (200) حمارا" ، (50) بغلا" ، (700) جملا" و (5000) خروفا")). (2)

3. الأهمية السياسية المنبثقة من دور عشائر الحلة في مقاومة سياسات المحتل ، وقد تبين ذلك بصورة جلية إبان الأحداث التي شهدتها الحلة عامي 1915 و 1916 في الصراع ضد الاتراك . فضلا عن المشاركة الفعالة لأبناء تلك العشائر في مقاتلة الجيوش البريطانية التي احتلت جنوب العراق عام 1914 ، الأمر الذي حفز الانكليز على مراجعة حساباتهم الخاصة بادارة الحلة وكيفية السيطرة عليها[178] .

بحلول يوم السابع والعشرين من شباط 1917 ، توصلت القيادة العثمانية الميدانية في العراق الى قناعة تامة ، بان الكفة العسكرية أخذت تميل لصالح القوات البريطانية ،بسبب تفوقها العددي. إذا لم يتبق من الجيش العثماني الأ نحو (5000) مقاتلا" ، يقابلهم أكثر من (200) ألف جنديا" بريطانيا" بكامل جاهزيتهم القتالية . لذا قرر المسؤولون الاتراك نقل السجلات الرسمية وكذلك الاموال المودعة في خزينة ولاية بغداد بواسطة القطار الى مدينة سامراء . وفي السادس من أذار صدرت الأوامر الى موظفي الحكومة من مدنيين وعسكريين بمغادرة بغداد والتوجه الى سامراء ايضا"، بعد أن دبَ اليأس في نفوس الجميع جراء عدم وصول الأمدادات العسكرية من اسطنبول . وإزاء حالة التخبط التي انتابت أولئك المسؤولين حينما عقدوا العزم على الانسحاب من بغـداد ،

فقد أصاب القيادات العسكرية المحلية في المدن العراقية التي مازالت فيها حاميات عسكرية إحباطا" شديدا" .وأخذت تعد العدة لقتال تراجعي بهدف تقليل نسبة الخسائر عند الأنسحاب[179]، تلقى آمر حامية الحلة مساء السابع من آذار ، أمرا" من قيادة الفيلق السادس بالشروع فورا" بسحب قواته باتجاه الشمال . فقام بعض الضباط بأخراج جميع الخيول من إصطبل الحامية ، كما جابوا أحياء الحلة والقرى القريبة منها ، وأستولوا عنوة على كل الحيوانات الصالحة للركوب أو النقل . وعند منتصف الليل تمت المباشرة بالأنسحاب ((وكان يرافق الجيش بعض الموظفين وعدد من الجندرمة ، ولما كان الجيش مجهزا" بالمدافع والرشاشات ، مستعدا" للطوارئ ، فقد أفلح بالمرور في طريقة دون ما خسارة ذات شأن))[180] ، وبذلك طويت صفحة الحكم العثماني في الحلة بعد تسلط دام أكثر من أربعة قرون، وبعد ان تمكنت القوات البريطانية بقيادة الجنرال (مود) من الاستيلاء على بغداد ظهر الحادي عشر من آذار 1917 ، قرر القادة الانكليز تعزيز التواجد البريطاني جنوباً، ولم تمض سوى بضعة أيام حتى كانت أسراب السيارات البريطانية تجوب شوارع الحلة[181] . وأشارت المس بيل بأن الموقف في منطقة الفرات الاوسط من سدة الهندية الى السماوة جنوبا" كان موقفا" غريبا" ((فلم يوضع جندي بريطاني واحد ... حتى كانون الاول 1917 ، كما لم تقع عين القبائل القاطنة في تلك المنطقة على البزة العسكرية البريطانية قط)). ثم استدركت قائلة : ((لكن منطقة الحلة مركز أهم منطقة تنتج الحبوب في بلاد الأنهر المتشعبة من نهر الفرات ، فلم يكن من الممكن إهمالها بالكلية)). لذا ارتأت سلطة الاحتلال في الاول من نيسان ، تعيين الكابتن غولد سمث بمنصب (معاون حاكم سياسي) عليها[182]، ويبدو أن قادة الأحتلال البريطاني لم يرغبوا بالتدخل المباشر في إدارة مدن الفرات الاوسط ، خلال الأشهر الأولى من إحتلال بغداد ، لذا إعترفوا رسميا" بنفوذ شيوخ العشائر في تلك المدن . وربما عكس ذلك رغبة أولئك القادة بتجنب الصدام مع ابناء عشائر المنطقة ، من خلال استمالة عدد من الشيوخ اصحاب النفوذ . غير ان هؤلاء الشيوخ ((الذين نصبهم الانكليز باعتبارهم ممثلين للسلطة ، كانوا يتجاهلون تماما" اوامرالسلطات البريطانية ،حيث امتنعوا عن دفع الضرائب ...)) . وهذا قد دفع بقادة الأحتلال في أواخر عام 1917 ، الى فرض السيطرة العسكرية على تلك المدن ،

177- الطاهر ، د. عبد الجليل ، العشائر العراقية ، (بغداد ، 1972) ، ج1، ص18 .

178- Field Notes Mesopotam , India , 1917 , p.36º –

179- للتفاصيل انظر : Administration Report of Baghdad Wilayat ,p.104 -

180- Macpherson ,Political office , 20 April , 1916 , pp.119 – 20 ; Review of District Administration Report - ., Hillah Division Reports Of Administration for 1918 , p . 120

181- العزاوي : المصدر السابق ، 8 / ص302 – 306 .

182- البلد : العدد 819 ، 3 شباط 1967 .

وعين لادارتها ضباطا" بصفة حكام سياسيين[183]، وكانت سلطة الأحتلال البريطاني قد شكلت لجنة في التاسع عشر من آذار 1917 أسمتها بـ (اللجنة الادارية لبلاد مابين النهرين)، وأوكلت اليها مهمة دراسة الأوضاع العامة في عموم مناطق العراق ، واقتراح الخطط العامة لما ينبغي ان تكون عليه إدارة المناطق والمدن المهمة . وقد أوصت هذه اللجنة بضرورة التنسيق مع شيوخ العشائر مقابل بعض الامتيازات[184] . (2) فقام غولد سمث باجراء اتصالات مع شيوخ الحلة لدورهم المؤثر في توطيد الأمن والاستقرار في مناطق نفوذهم ، مما يضمن وصول الامدادات والمؤن الى القوات البريطانية في بغداد [185]، وقررت سلطةالاحتلال البريطاني في الثاني والعشرين من تشرين الاول 1917 ، تعيين أحد ضباطها ويدعى (مكفارسون) حاكما"سياسيا" على الحلة . كما أجرت تغييرا" إداريا" أصبحت بموجبه الحلة متصرفية ، ألحقت بها أقضية الهندية وكربلاء والديوانية ، وعينت لأدارتها ثلاثة من المعاونين السياسيين[186] ، وحينما تسلم مكفارسون مهام عمله في الحلة ، التقى بشيوخ العشائر فيها ، وذلك بناء" على توجيهات صادرة عن الحكومة البريطانية ، التي كانت قد أعدت في فترة سابقة ، تقارير سرية ضمنتها خططا" عن كيفية ضمان ولاء شيوخ عشائر العراق لبريطانيا[187] ،حقيقة ان سلطة الاحتلال البريطاني وضعت في أولويات حساباتها إستمالة شيوخ العشائر ، لكسب ولائهم عن طريق الاغراءات والامتيازات المادية . بيد أنها أدركت في ذات الوقت ، ان استقرار الوضع في المناطق الزراعية ذات الثقل العشائري ، مسألة تتطلب إيجاد تنظيم تحت اشرافها المباشر ، من اجل ضمان آلية إستيفاء الضرائب دون مشاكل مع المزارعين ، بما يضمن تدفق الاموال لدعم المجهود الحربي البريطاني في العراق . لذا أقدمت على تشكيل ماعرف بـ(المجلس القبلي) ، بناء" على اقتراحات تقدم بها ساسة الاحتلال ومنهم المندوب السامي البريطاني برسي كوكس ودوبسن والمس بيل[188]، وقد جرى تشكيل المجلس القبلي في لواء الحلة باشراف مباشر من قبل الحاكم السياسي مكفارسون ، حيث ضَم الشيوخ البارزين للعشائر العربية القاطنة على ضفتي الفرات ضمن الرقعة الادارية للواء وهم :الشيخ عمران السعدون من بني حسن ، الشيخ شخير الهيمص من البوسلطان ، الشيخ مغير النصر من شيوخ الجحيش ، الشيخ شعلان المهدي من السادة العواديين ، الشيخ شمران الجلوب من آل فتلة ، الشيخ ابراهيم السماوي من خفاجة ، الشيخ مراد الخليل من عشيرة الجبور ، الشيخ سلمان والشيخ رشيد العنيزان من شيوخ اليسار[189]، وبذل مكفارسون جهودا" حثيثة للتقرب من بعض الشيوخ ، فأقام علاقات صداقة معهم بهدف ضمان ولائهم وتسهيل مهمة تنفيذ سياسة سلطة الأحتلال ، عن طريق منحهم مكافآت مالية شهرية تتراوح مابين (300-600) روبية . فضلا" عن إمتيازات أخرى شملت التزام الادارة البريطانية بتوفير الحماية الشخصية لبعض اولئك الشيوخ ، وإعفائهم من الضرائب ، كما خولت سلطة الاحتلال كبار شيوخ العشائر باستقطاع قسم من واردات الضرائب ، مقابل إبداء التعاون الفعلي ، بل انها منحتهم مساحات واسعة جدا" من الاراضي الزراعية ، ووفرت لهم بعض مستلزمات الزراعة ، لاسيما أدوات الحراثة[190] .كان الاعتقاد السائد لدى سلطة الاحتلال البريطاني بأن الأراضي الزراعية الواقعة في جهات الفرات تمتاز بالانتاج الزراعي الواسع والكثيف . غير أن الدراسات التي أجراها خبراء انكليز مختصون بامور الزراعة لاول مرة في منتصف عام 1917 ، أثبتت ((ان الغلة هناك كانت دون الحد المعتاد)) ، بسبب الاهمال الذي أصاب الزراعة خلال عهد السيطرة العثمانية . وخاصة ما يتعلق برداءة الجداول والانهار الصغيرة المتفرعة من الفرات وعدم إدامتها . وقد أدرك الانكليز الخطورة الناجمة عن إستقرار التدهور الزراعي في الفرات الاوسط عموما" والحلة بصورة خاصة . لما لذلك من إنعكاس سلبي على كميات الانتاج التي من

183- المصدر نفسه .

184- بيل : المصدر السابق ، ص112 .

185- كوتلوف : المصدر السابق ، ص75 .

186- Administration Report During British Occupation By – Political Department , India Office , 1919 , pp . 120 – 1 .

187- Administration Record during British Accupation By political Department , India office , 20th August , 1919 , pp .320-5.

188- ايرلاند : المصدر السابق ، ص100 ، نظمي ، وميض جمال : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، (بغداد ، 1985) ، ص275 .

189- Administration Report of Baghdad Wilayat , p . 107 .

190- Willson , Arnold , Mesopotamia , 1917 – 1920 , pp . 56 - وانظر : دار الكتب والوثائق ، ملفات البلاط الملكي ، ملفه رقم 1157 / 311 ، ص598 – 599 ، وملفه رقم 351 / ب ، ص23 – 25 .

المفترض ان تسد حاجة جيوشهم من المؤن الغذائية . بيد ان إيجاد الحلول اللازمة لم يكن بالامر اليسير ، بسبب مايتطلبه من مبالغ مالية ضخمة ، لايمكن للسلطة إدراجها وتبرير إنفاقها الا باعتبارها ((أجراءاً عسكرياً))[191] . قام (ضابط الواردات البريطاني) بوضع خطة لمشروع أطلق عليه (مشروع الاستثمار الزراعي) ، غايته إقامة مشاريع ري جديدة ، وتطهير الحداول والانهار الصغيرة على ضفتي الفرات في الحلة والمناطق المجاورة لها . فتمت المصادقة عليه في الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1917 ، بعدإجتماع عقدته سلطة الاحتلال مع اصحاب الاملاك الزراعية في بغداد والحلة . حيث دعتهم للتعاون وتقديم المساعدة لدعم الجهد البريطاني من اجل نجاح هذا المشروع ، كما حذرتهم في ذات الوقت ((بأن الملاك الذي يهمل اراضيه سوف يفقد حقه في (حصة الملاك) عند تقسيم الحاصل المقبل))[192]، ولم تكن سلطة الاحتلال البريطاني غافلة عن تعزيز نفوذها في المدن العراقية المهمة ببعض الاجراءات الادارية والقضائية . إذ اوعزت عام 1918 بتشكيل (المجلس البلدي في الحلة) برئاسة الحاكم السياسي وعضوية عدد من شيوخ ووجهاء الحلة . ولكن هذا المجلس كان في واقع الامر إستشاريا" ، ويمتلك صلاحيات محددة خاصة ببعض الخدمات كالتنظيف وإضاءة الفوانيس النفطية في شوارع المدينة ، فضلا" عن الاشراف الشكلي على (دائرة صحة الحلة) ذات الملاك البريطاني[193] . أما في مجال القضاء ، فقد أسند البريطانيون إدارته الى الحاكم السياسي وعضوية ثلاثة من الضباط البريطانيين ، للنظر في دعاوي الجرائم والقضايا المدنية ، في حين تولى ماعرف بـ (مجلس علماء الشرع) البت في الدعاوي الخاصة بالمسائل الشرعية[194] ومما يجدر ذكره ، أن سلطة الاحتلال أوعزت في أواخر عام 1919 الى أحد ضباطها المدعو الميجر (دليدي) بتشكيل أول محكمة مدنية عرفتها الحلة في تاريخها المعاصر[195].وأجرت سلطة الاحتلال البريطاني تعديلا" إداريا" آخر في عام 1919 ، تم بمقتضاه فصل كربلاء عن لواء الحلة ، وجعلها متصرفية يتبعها قضاء النجف . وفي الخامس والعشرين من تشرين الاول أصدرت امرا" بتعيين (المستر توماس) حاكما" سياسيا" جديدا" على متصرفية الحلة ، ثم أبدلته عام 1920 بـ (المستر بولي)[196]، واخيرا" لابد من القول بأن سياسة بريطانيا في العراق لم تكن تختلف كثيرا" عن تلك السياسة التي إتبعها العثمانيون ، وخاصة في مسألة الضرائب وطرق جبايتها عنوة من السكان . وقد ولّد ذلك إمتعاضا" شديدا" لدى الحليين ، الذين سأموا السياسة الجائرة للمحتل الجديد ، التي تعدت الى أعمال السخرة في عمليات كري الجداول المتفرعة من شط الحلة الى القرى المحيطة بها . حيث تجاوز عدد الذين تم تسخيرهم اكثر من (90) ألف شخص حسبما ذكر المؤرخ كوتلوف[197]، كما بلغ مجموع ما تم جبايته من مبالغ عن ضريبة (الكودة) فقط للمدة 1917-1918 نمو اكثر من (998) ألف روبيه ، ثم إرتفع هذا الرقم في عام 1919 لأكثر من (2,5) مليون روبيه . (5) لقد أفرزت تلك السياسة ردود أفعال سلبية لدى اهالي الحلة ، فكانت حافزا" لبلورة الشعور الوطني ومقاومة الاحتلال ، والتهيؤ للثورة التي اندلعت شرارتها في الثلاثين من حزيران عام 1920 .

الخاتمة :

لا يمكن للباحث في تاريخ العراق الحديث ان يعمم او يرسم صورة دقيقة وحقيقية للواقع السياسي ، دون التعمق في دراسة خصوصية الاحداث السياسية التي شهدتها مختلف المدن العراقية . حقيقة" ان هناك تفاوتا واضحا في طبيعة تلك الاحداث بين مدينة واخرى ، لكن التمعن في دراستها قد يصيب جوهر الحقيقة التاريخية التي نبحث عنها من خلال الاعتماد على الجزيئات لاجل الوصول الى صياغة استنتاج عام . وبقدر تعلق الام بهذه الدراسة المتواضعة يبدو ممكنا" تاشير ماياتي : تبوأت الحلة أهمية خاصة في الحسابات الستراتيجية العثمانية ، كونها من المناطق التي تمتاز بالثقل السكاني العشائري ، فضلا" عن اهميتها الادارية والعسكرية والاقتصادية لذا أولى العثمانيون ادارتها اهتماما" فائقا من خلال انتقائهم الدقيق للحكام والولاة الاداة المنفذة للسياسة العثمانية . كان لتغاضي الحكومة العثمانية أو ربما جهلها للبيئة الدينية والطبيعة العشائرية للمجتمع الحلي دورا" اساسيا في عدم استقرار الاحوال السياسية في الحلة طيلة اكثر من قرن . لقد اثبت الحليون تمسكهم

---

[191]- بيل : المصدر السابق ، ص244 .

[192]- المصدر نفسه ، ص245 – 246 .

[193]- Administration Report of Hillah 1918 , pp . 11 – 2 –.

[194]- Report of Administration for 1918 Divisions And Districts Of The Occupied Territorie In – Mesopotamia , p . 20.

[195]- الهيمص : المصدر السابق ، ص55 .

[196]- هالدن : الفريق آلمز القائد العام للقوات البريطانية ابان ثورة العراق ، ترجمة فؤاد جميل، (بغداد ، 1960) ، ص49.

[197]- كوتلوف : المصدر السابق ، ص75 – 76 .

بالاخلاص لوطنيتهم من خلال مقاومة الاجنبي المحتل ، ورفضهم الاستجابة الطوعية لسياساته التي إرتكزت على مبدأين اساسيين هما جمع الاموال قسرا" عن طريق الضرائب ، وتجنيد الشباب عنوة في الجيش العثماني . الامر الذي قاد الى التصادم العسكري بين السلطة المحلية وابناء العشائر . رغم الأيجابيات التي ذكرت في البحث والتي حملها تطبيق قانون تفويض الاراضي الزراعية في عهد الوالي مدحت باشا (1869-1872) ، غير ان نظرة متفحصة لمغزى ذلك القانون من وجهة نظر الحكومة العثمانية ، تقضي الى الاعتماد انها خطوة غلفت باطار شرعي وقانوني لرفد الخزينة المركزية بالمزيد من الاموال عن طريق ما سمي بـ (بدلات أو رسوم التفويض) . ان رغبة الحليين بتعليم ابناءهم في المدارس الحديثة تدل على تعزيز التواصل مع البيئة الثقافية التي امتازت بها الحلة منذ بضعة قرون ، مما ساهم في تعزيز الوعي السياسي .لجأ الحليون الى مطالبة الحكومة العثمانية في اعلى مستوياتها لاجل التدخل في معالجة الأمور الخاصة بمدينتهم كانشاء سد الهندية ، ومسألة نقل مركز المتصرفية من الحلة الى الديوانية عام 1892 ، غير ان تتلك الحكومة اخذت بالمفيد لها فاستجابت وانشأت السد لعلاقة ذلك بمستوى كميات الضرائب كما اوضحنا في البحث ، بينما صمت آذانها عن المطلب الأخير كونه لا يتماشى مع هدفها السياسي الرامي الى تعزيز السيطرة المركزية.لم يقتصر دور اهالي الحلة على مساندة ومؤازرة ابناء وطنهم في المدن العراقية حسب ، وانما تعدى ذلك الى اضطلاعهم بدورهم القومي في مناصرة القضايا العربية الرامية الى التخلص من السيطرة العثمانية .ان رفض النخبة المتعلمة لمبدأ المركزية الادارية وسياسة التتريك ، وانتقاد مواقف الحكومة الاتحادية التي تشكلت بعد الاطالة بالسلطات عبد الحميد الثاني عام 1909 ، مثل نقطة تحول في بلورة الوعي السياسي ليس في الحلة فقط وانما في عموم منطقة الفرات الأوسط قدمت الحلة قافلة من الشهداء والجرحى والاسرى ، جراء التصدي لهجوم القائد التركي العقيد عاكف بك ، كما هدمت عشرات البيوت ، وشلت الحياة فيها مو هذه التضحية التي مازالت عالقة في اذهان الحليين باسم (دگة عاكف) سجلها التاريخ كرمز للمقاومة الوطنية العراقية ضد الاجنبي المحتل خلال العقد الثاني من القرن العشرين، واخيراً كان للحليين شرف التصدي للاحتلال البريطاني منذ ان وطأة اقدامه البصرة عام 1914، فكانت لهم المساهمة الفاعلة في ثورة العشرين .

مصادر البحث :

الوثائق الرسمية :

وثائق البلاط الملكي – غير المنشورة - :

ملفة رقم 1157/311 .

ملفة رقم 351/ب .

وثائق الادارة البريطانية في العراق- المنشورة-:

- Administration Report of Baghdad Wilayat .

-Administration Report Dudring - Administration Report of Hillah , 1918 .

British Occupation By political Department , India , 1919 .

-Field Notes Mesopotamia ,India , 1917 .

- Macpherson , Political Office , 1916 .

- Review of District Administration Report , Hillah Divison Reports of Administration , 1918 .

- Willson , Arnold, Mesopotmia, 1917-1920.

المخطوطات :

-آل كاشف الغطاء ، علي : الحصون المنيعة في طبقات الشيعة ، مخطوطة في مكتبة آل كاشف الغطاء (النجف الاشرف) .

-آل كاشف الغطاء ، محمد حسن : العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية ، مخطوطة في مكتبة آل كاشف الغطاء (النجف الاشرف) .

-الآلوسي ، محمود شكري : أخبار بغداد وماجاورها من البلاد ، مخطوطة برقم 6287 ، دار المخطوطات (بغداد) .

-الشاوي ، محمود بن سلطان : ذيل مطالع السعود ، مخطوطة برقم 29664 ،دار المخطوطات (بغداد) .

الرسائل والاطروحات الجامعية – غير المنشورة :

-الجابري ، ستار جبار : سعد صالح ودوره السياسي في العراق رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد ،1996 .

-الجابري ، محمد هليل : الحركة القومية في العراق 1908-1914 ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1972 .

-مجيد ، محمد حسن : الشعر في الحلة بين سنتي 1824-1917 ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1977 .

-نديم ، شكري محمود : احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية 1908-1918 ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1985 .

الكتب العربية والمترجمة :

-الأرحيم ، فيصل محمد : تطور العراق تحت حكم الاتحاديين 1908-1914 ، (مطبعة الجمهورية ، الموصل ، 1975) .

-آل فرعون ، فريق المزهر : الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920 ونتائجها (منشورات مكتبة النجاح ، بغداد ، 1952) .

-أنيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914 ، (دار الجيل ، القاهرة ، د.ت) .

-إيرلاند ، فيليب ويلارد : العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة ، جعفر الخياط ، (دار الكشاف ، بيروت ، 1949) .

-البازركان ، علي : الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، (مطبعة الاديب ، بغداد ، 1991)
-برو ، توفيق علي : العرب والترك في العهد الدستوري 1908-1914 ، (مطبعة دار الهنا ، القاهرة ، 1962) .
-البستاني ، سليمان : عبره وذكرى الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق خالد زيادة (دار الطليعة ، بيروت ، 1978) .
-البصير ، د.محمد مهدي : نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر،(مطبعة المعارف ، بغداد ، 1946).
-بيل ، المس : فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، (دار الكتب ، بيروت ، 1971) .
ا-لجبوري ،عبد الجبار حسن:الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي 1908-1914 (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977) .
-جواد ، د.هاشم : مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ،(مطبعة المعارف ، بغداد ، 1946).
-حسن ، د.منعم حميد : البصير شاعرا" ، (دار الرشيد ، بغداد ، 1980) .
-الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الاحزاب العراقية ، (مطبوعات مركز الابجدية ، بيروت ، 1980) .
-الحصري ، أبو خلدون ساطع : محاضرات في البلاد العربية والدولة العثمانية (مطبعة الرسالة ، د.م ، 1957) .
-الحلي ، جعفر : سحر بابل وسجع البلابل ، (مطبعة العرفان ، صيدا ، 1331 هـ) .
-الحلي ،الشيخ يوسف كركوش : تاريخ الحلة، ج1 (المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1965) .
-الخاقاني ، علي : شعراء الحلة ، ج2 ، ج3 (دار البيان ، بغداد ، ط2 ، 1975) .
-الخياط ، جعفر :صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، (دار الكتب ، بيروت ، 1971) .
-الدجيلي ، كاظم : أحداث ثورة العشرين كما يراها شاهد عيان ، (بغداد ، 1973) .
-سوسة ، د.أحمد : نصف قرن من حياتي ،(دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986)
: وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ،(مطبعة المعارف ، بغداد ، 1945) .
-الطاهر ، د. عبد الجليل : العشائر العراقية ، ج1 (مطبعة المثنى ، بغداد ، 1972) .
-العاملي ، محسن الامين : اعيان الشيعة ، (بيروت ، 1960) .
- عبد الكريم ، د. ياسين : الجيش والسلاح ، ج5 (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1988) .
- العطية ، وداي : تاريخ الديوانية قديما" وحديثا" ، (المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1954).
-العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج4 و ج5 و ج6 و ج7 و ج8 (شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، 1952، 1953، 1954، 1955، 1956) .
-عز الدين ، يوسف : تطور الفكر الحديث في العراق ، (مطبعة أسعد ، بغداد ، 1976) .
-عزيز ، د.محمد : النظام السياسي في العراق ، (مطبعة المعارف ، بغداد ، 1954) .
-العمري ، محمد أمين : تاريخ حرب العراق ، ج1 (مطبعة العربية ، بغداد ، 1935) .
-فائق ، سليمان : تاريخ بغداد ، ترجمة موسى كاظم نورس ، (مطبعة المعارف ، بغداد ، 1962) .
: تاريخ المنتفق ، ترجمة ممد خلوص الناصري ، (مطبعة المعارف ، بغداد ، 1961) .
-كوتلوف ، ل.ن : ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة د.عبد الواحد كرم ، مراجعة عبد الرزاق الحسني ، (دار الفارابي ، بيروت ، ط2 ، 1975) .
-لونكريك ، ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، (منشورات مكتبة التحرير ، بغداد ، ط2 ، د.ت) .
-المهداوي ، د.علي هادي : الحلة في العهد العثماني المتأخر 1869-1914 ، دراسة في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي (منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، 2002) .
-: الحلة كما وصفها السواح الاجانب في العصر الحديث دراسة تاريخية (الحلة ، 2005).
-الموح : مذكرات الموح الحاج صلال الفاضل من رجال ثورة العشرين ، (مطبعة العاني ، بغداد ، 1986) .
-نظمي ، وميض جمال : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، (بغداد ، 1985) .
-هالدن : الفريق آلمز القائد العام للقوات البريطانية ابان ثورة العشرين ، ترجمة فؤاد جميل ، (مطبعة الزمان ، بغداد، 1978) .
-الهيمص ، الشيخ عبود : ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب ، (بغداد ، 1989) .
-الوائلي ، د.ابراهيم : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، (مطبعة المعارف ، بغداد ، 1978) .
-الواعظ ، مصطفى نور الدين : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر ، (مطبعة الاتحاد ، الموصل ، 1948) .
-الوردي ، د.علي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج3 (مطبعة الشعب ، بغداد ، 1972) .
-اليعقوبي ، محمد علي : البابليات ، الجزء الثالث ، القسم الاول ، (المطبعة العلمية ، النجف ، 1954) ، القسم الثاني (المطبعة العلمية ، النجف ،1955) .
: ديوان اليعقوبي ، (النجف ، 1970) .

5. الدوريات :

-الأدهمي ، د.محمد مظفر : الحركة البرلمانية العثمانية في العراق وعلاقتها في انتعاش الحركة القومية العربية . مجلة آفاق عربية ، العدد السادس ، شباط (1977) .
-سلمان ، كامل : حرب العراق 1914-1915 . مجلة آفاق عربية . العدد العاشر (السنة الثالثة) .
-القيسي ، د.عبد الوهاب : حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتاثيرها في العراق ، (1839-1877) . مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد 3 ، كانون الثاني (1961) .
-مجيد ، د.محمد حسن علي : ولاة الحلة وحكامها في القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم التركي في العراق 1800-1917 واثرهم في الشعر . مجلة المؤرخ العربي ، العدد 20 ، (1981) .
-الواعظ ، رؤوف : اثر الدستور العثماني في خلع السلطان عبد الحميد في الشعر العراقي الحديث . مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد 10 ، (1972) .

6. المجلات :

مجلة البلاغ ، العدد 8 ، (1975) .
مجلة العرفان ، الجزء الخامس ، نيسان (1909) .
لغة العرب ، العدد ، السنة الثالثة (1913) .

7. الصحف :

-صحيفة البلد .
-صحيفة الرقيب .
-صحيفة الزوراء .
-صحيفة صدى بابل .
-صحيفة الفيحاء .